الفتوحات الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم وكفى
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
...-...-...-...

يأتي الشيطان إلى الإنسان فيأمره باللعب بدلاً من الجِدّ، حتى يتوه في الدنيا وينسى الدين والآخرة. فإن استجاب له فقد فاز الشيطان بصاحب في جهنّم. فإن لم يستجب له واختار الدين على الدنيا، أمره بالجِدّ في الدين حتى يضلّه بقتل روح العفوية فيه واستقبال الإلهام الحي من الله وروح "اللعب" في الدراسة والعبادة كالأطفال في اشتغالهم بما يعملونه ببراءة نفس، بل يبدأ الشيطان بأمره بالقيام بالواجب فيشعر المؤمن بانفصال ما بين عمله ومقصده ويشعر بأن الواجب شيء غير نفسه ومقتضيات روحه فيجعله الشيطان بذلك ينفصل عن الدين لكن هذه المرّة انفصال عن الدين بالدين بدلاً من الانفصال عن الدين بالدنيا، انفصال عن روح الدين بجسم الدين وهو مساوٍ في النتيجة للانفصال عن الدين إذ بلا روح الجسم جثّة تستحق الدفن إكراماً لها بإرجاعها إلى أصلها. {سبّح بحمد ربّك..لعلّك ترضى} أنت ترضى لا الله يرضى فالله لا يفتقر إلى إرضائك له لكنه يرضى لك ما يرضي نفسك الخالدة التي هي مرآة نفسه المتعالية جلّ وعلا. الواجب يقتل الدين كما يقتل السمّ الجسم، تظنّ أنك تتغذّى لكنك تُهلك نفسك ولا تشعر. من هنا تجد أهل "الواجب" عادةً لا يعقلون ويرتعبون من النظر والتأمل ويخافون من الغريب والجديد وما لم يعتادوا عليه ويكرهون أصول الكشف والوجد والحب والحكمة، يريدون الصورة المادية ويكتفون بها مع محاربة كل ما يمكن أن يعكّر صفوهم في إقامتها ولو وهماً. {ذلكم خير لكم} {إن كنتم ءامنتم بالله} وعلى هذا النمط لاحظ العلل الربانية للأحكام الكتابية وستجدها تدور في فلك {يجاهد لنفسه} {يضلّ عليها} {يشكر لنفسه} {تجزون ما كنتم تعملون} ونحو ذلك من محورية النفس وكمالاتها وتمامها ورضاها. الله خلق ليعطي وحين يأخذ فإنما يأخذ ليعطي أكثر وأكبر {يضاعفه له}. {يُطعِم ولا يُطعَم}.

...

نمت الليلة كسلاً عن صلاة الفجر مع أن الله أقامني لكن شعرت بثقل في رأسي من قلّة النوم والضعف فنمت، فرأيت نفسي واقف من خارج مبنى عالي جداً وتحتي كلب أسود ورأس كلب أسود تقفز من الأرض وتحاول أن تبلغني وأنا خائف منه وإذا بي أضرب الرأس والكلب ليسقط أو أبتعد عنه لتأخذه الجاذبية نحو الأرض. فقمت فأوّلتها كإنذار لي بآية "نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها..ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث" والعياذ بالله، فعرفت أن للهوى ولجسمي سلطة على

نفسي تخالف مقتضيات نفسي، فضربت جسمي لما استيقظت توبة وإذلالاً له وإخضاعاً له لمقتضيات روحي وأمر ربي، واستعنت بالله على هذا العدو الكافر وعزمت بالتوكل على الله على عدم العودة لذلك.

...

الخالق غير الخلق. فالمخلوق الذي يتعلّق بالخالق مثل الرجل الذي يتعلّق بالمرأة أو الأمّة التي تهتمّ بالأقلّية أو المهاجر الذي يأنس بالمختلف أو المجتمع الذي يعظّم الغريب. التعلّق بالغير والمختلف مظهر وأساس تعلق المخلوق بالخالق. وبالضدّ من ذلك حال قوم لوط سواء كانوا كذلك في أمر الرجل والمرأة فيميلون لما يشبههم "أتأتون الرجال شهوة من دون النساء" أو يعظّمون الأكثرية لأنها الطاغية ولا يبالون بالأقلّية "أخرجوا آل لوط من قريتكم" أو الذين يرفضون الهجرة لأنها غربة "أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله" أو الذين لا يبالون بالغريب لضعفه "فأبوا أن يضيفوهما".

المثلية مشكلة لا لسبب جسماني فإن من المذاهب مَن أجاز جماع المرأة في الدبر أو العزل فلا نسل أو زواج العقيم والعاقر أو ترك الزواج فلا نسل أو لبس الواقي فلا مرض. تأسيس الأحكام الشرعية على غير أسس عرفانية وميتافيزيقية يجعلها عرضة للكفر بها والسخرية من الرسل ورميهم بمخالفة العقل.

المثلي في الجنس مثل الملحد أو المشرك في الدين من حيث أنه يتعلّق بالشبيه، لكن قد يكون مثلي في الجنس أي من حيث الجسم لكنه موحّد من حيث النفس والقلب كالمثلي الذي يعبد الخالق ولا يعبد المخلوق فهذا حاله كالأعمى بالجسم الذي قد يكون من أبصر الناس بعين القلب فيكون جسمه مثال على المرض القلبي لكن قلبه هو ليس مريضاً بل في قمّة الصحة فهو ابتلاء في الجسم لبيان حال نفس من النفوس وكذلك كل مرض أو مصيبة جسمانية فليس بالضرورة أن يكون صاحبها مصاب بما يوازيها أو يناظرها في النفس والقلب والروح. العبرة في النجاة الأخروية، والنجاة بالتوحيد، والتوحيد بالتعلّق بالخالق بدلاً من المخلوق "إلا مَن أتى الله بقلب سليم" قال الولي أن معناها السلامة من غير الله أي المخلوق، فالمدار على سلامة القلب وأما الجسم فليكن ما يكون ابتلاؤه فهو آية على القلب والعبرة بالقلب. لذلك قيل بأن الميول الجنسية ليست باختيار صاحبها كما أن المرض أو المصيبة الجسمانية عموماً ليست من اختيار الناس كمصائب الطبيعة وما يأتي على يد البشر فيؤذيك قهراً أو كلون جسمك وطولك وعرضك. الميول الجنسية أمثال على الميول الروحية، والعبرة بالميول الروحية في الآخرة. فمن

كان مثلي الجسم غيري الروح فهو مبتلى في جسمه معافى في روحه. لكن مَن جمع إلى مثلية الجسم مثلية الروح فهو من قوم لوط الهالكين، فإن قوم لوط كفروا بالله ورسوله إضافة إلى إتيان الرجال شهوة من دون النساء جسمانياً.

...
"لا ضرر ولا ضرار" خبر ينفي الضر إذ لا يصيب النفس إلا ما يناسبها ويكمّلها في الحقيقة لأن الله هو الرحمن الرحيم دنيا وآخرة. فلا أحد يستطيع أن يضرّ نفسه ولا غيره على الحقيقة، لأن النفس أعلى من النفع والضر إذ هي نور خالص خالد فلا يمكن أن ينالها شيء أصلاً، وأما ما يمكن أن يصيبه النفع والضر فهو مراتب نازلة من الوجود كالجسم والذهن ونحو ذلك. "الروح من أمر ربي" فلا يصيبها ضرر ولا يمكن أن تضرّ روحاً أخرى على الحقيقة.

...
(من حديث الجساسة)

١- قال الشعبي لفاطمة بن قيس {حدّثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُسنديه إلى أحد غيره}.

إذن مصطلح حديث وإسناد مأخوذ من كلام السلف. أما الحديث كقول الرسول فمن القرءان "إذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً". وأما الإسناد فمن قول الشعبي هنا {لا تسنديه إلى أحد غيره} فالإسناد سلسلة نقل الكلام، فإن كان بينها وبين الرسول شخص فهي تسند الحديث إلى هذا الشخص ثم هذا الشخص يسنده إلى الرسول، لكن إن لم يكن بينها وبين الرسول شخص فهي تسنده إليه مباشرة.

ماذا أراد الشعبي بمثل هذا الطلب؟ لم يبالي بموضوع الحديث، لكن اهتمّ بقرب الإسناد. لأن الشعبي لم يسمع من النبي مباشرة فلم يبقى أمامه إلا أن يبحث عن رابطة ذات حلقة واحدة بينه وبين النبي، فلذلك سأل فاطمة عن حديث سمعته مباشرة من رسول الله. بالتالي طلب علوّ الإسناد أي قلّة الحلقات بينك وبين النبي أمر مرغوب. لكن لماذا؟ الحديث من حيث صورته واحد، فلا يهمّ عدد الحلقات بينك وبين الناطق الأول. فلماذا اهتمّ بقرب الإسناد وعلوّه؟

أحد الأسباب الممكنة: الدقّة في النقل. أي أراد حديثاً منقولاً على وجهه. لكن هذا مدخول من حيث أن الحديث قد يُنقَل على وجهه مع تعدد حلقات الإسناد، وقد يُنقَل على غير وجهه مع قرب الإسناد كأن ينسى الصحابي كما هو معلوم وأقرّ بعض الصحابة بأنهم لا يحدّثون لأنهم نسوا أو خافوا من النقل غير الدقيق عن النبي فيقعوا في المحظور.

الظاهر أن الشعبي أراد تقليل الوسائط لأن في هذا عملاً بأصل انعدام الواسطة الذي هو أساس التوحيد. الأصل الفطري أن لا يكون بين الإنسان ومُعلّمه واسطة لا حجاب ولا ترجمان بل الكلام كفاحاً، ما قال الله عن آدم "وعلّم آدم" بلا واسطة، كذلك قال النبي عن والد جابر ووعد المؤمنين في الآخرة بكلام الله بغير واسطة ويشهد لهذا القرءان في آية التكليم "وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً" بالتالي الدرجة العليا هي الوحي الذي لا حجاب ولا رسول فيه فهو المكافحة في الكلام والمباشرة ما بين المتكلّم سبحانه والكليم عبده. "الروح من أمر ربي" فالروح مجبولة على المباشرة وأخذ العلم من مصدر العلم الأول. فلمّا حصلت الواسطة بالنبي، وحصلت الواسطة عن النبي بالصحابة. طلب الشعبي حديثاً بأقلّ واسطة ممكنة لأن " ما لا يُدرَك كلّه لا يُترَك كلّه" وبناء على قاعدة "ارتكاب أخفّ الضررين".

٢- قالت فاطمة {فلمّا كلّمني رسول الله قلت أمري بيدك فأنكحني مَن شئت}

أقول: لولا أنها قالت {أمري بيدك} لكان أمرها بيدها. بالتالي حتى رسول الله لا يملك سلطة التصرف في أي مسلم أو مسلمة فيما يخصّ نكاحه وهو شأن نفسه وجسمه ومداره على الجسم. وإذا كانت سلطة التصرف بأجسام الناس ليست لرسول الله فلا يمكن أن تكون لأحد من أولي الأمر من الذين ءامنوا الذين لا يمكن أن يتجاوز سلطانهم سلطان رسول الله. على هذا الأساس حرية الجسم في المجتمع المسلم الحي.

٣- قال النبي لفاطمة أن تعتدّ في مكان ثم أمرها بتغيير المكان. حدّثت فاطمة {فقال "انتقلي إلى أم شريك"، وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان. فقلت "أفعل". فقال "لا تفعلي..ولكن انتقلي إلى ابن عمّك.."}

أقول: أمرها النبي أولاً بالانتقال إلى أم شريك، ثم نسخ وألغى ذلك بأمر آخر بعدما نظر في مدى ملائمة حال أم شريك لفاطمة. أم شريك من جهة غنية مؤمنة من الأنصار لكنها من جهة أخرى ينزل عليها الكثير من الضيفان وفيهم الرجال. فمن وجه تناسب نزول فاطمة عليها، ومن وجه لا تناسب نزول فاطمة عليها. فأمر النبي بناء على الوجه الأول، ونهى بناء على الوجه الآخر ورجّح الآخر. هذا من تغيير الرأي بعد تجدد النظر واستفادة علم أو تذكّر أمر ومقايسة الاحتمالات المختلفة. إذا جاء هذا من النبي، جاز من باب أولى من غيره، فلا يُطعَن على إنسان بسبب تغيير رأيه ولو أمر به لتجدد رأيه وتغيّره بمعلومة تعلّمها أو تذكّرها وحساب قام به. تغيير الرأي للأحسن من حسن الرأي وينبغي الثقة بعقول الذين يتجرأون على تغيير رأيهم إذا بدا لهم ما هو أحسن منه وليس الطعن فيهم بضعف عقولهم وتردد إرادتهم وتسرّعهم.

٤- لما فسّر النبي لفاطمة سبب نهيه لها عن الانتقال إلى أم شريك قال {إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمّك}

أقول: لاحظ قول النبي {فإني أكره}، لماذا كره النبي ذلك؟ فسّره النبي في آخر كلامه، {فيرى القوم منك بعض ما تكرهين}. لم يقل بأن سقوط خمارها أو انكشاف ساقيها معصية لله تعالى أو سبب حلول غضبه أو أي اعتبار من ذلك. بل قال {فيرى القوم منك بعض ما تكرهين} ففسّر كشف رأسها وجسمها بأنه شيء تكرهه فاطمة نفسها، {بعض ما تكرهين}. يعني رؤية القوم فاطمة بغير خمار أو مكشوفة الساقين هو أمر تكرهه فاطمة، وكره النبي أن يعرّض فاطمة إلى ما تكرهه فاطمة. فكراهة النبي كانت لكراهة فاطمة. فلولا أن فاطمة كانت تكره رؤية سقوط خمارها وانكشاف الثوب عن ساقيها لما كره النبي ذلك لها. هذه عبارات كثيرة لكنها تدور حول أصل واحد وهو أن الخمار والثوب لهما غاية واحدة وهي عدم تعريض المرأة لما تكره من رؤية الرجال لها. فهو أمر للمرأة، إن كرهته فقد جاءها طريق الخروج من الكراهة، وإن لم تكرهه فهي وما اختارت لنفسها. إن النبي لم يأمر أم شريك بأن تأمر ضيفانها بعدم النظر إلى أي امرأة في الدار، أو أي شيء من هذا القبيل. بل ترك الرجال وأعينهم العادية في تقلباتها مع تذكّر أمر غض البصر إن كانوا من المؤمنين، لكن في حال كرهت المرأة رؤيتهم لها فعليها هي تغطية رأسها وجسمها. وكذلك المرأة عليها غض البصر قرآنياً كالرجل.

٥- سمّى النبي ابن عمّ فاطمة {عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم}

أقول: فنسبه إلى أبيه عمرو وإلى أمّه أم مكتوم فجمع له بين نسبته إلى أبيه وإلى أمّه معاً. بالتالي نسبته إلى أمّه ليست خطأ وخلاف الشرع. وفي حاشية جامع الأصول التسعة ذكر الجامع أن لذلك نظائر مثل "عبدالله بن مالك ابن بحينة" و "عبدالله بن أبيّ ابن سلول". أما ابن سلول فاسمه كذلك قبل تسمية النبي له بذلك. بالتالي باستعمال النبي واستعمال العرب يمكن الجمع بين النسبة للأب والنسبة للأم. هذا أصل مهم.

فإذا عرفنا بعد ذلك كما بيّنا في مقالة دعوى مريم ومحمد أن النسبة للأمّ هي الأصل الأحسن والأقرب للعلم والسلامة من الكذب والسهولة في التحقيق والصدق، فيكون حذف الانتساب إلى الأب وإبقاء الانتساب إلى الأم هو الحق والأحق كأصل يعمل به العالمون الأحرار.

فإن قيل: قال الله "ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله" وفيه أمر بدعوتهم إلى آبائهم. قلنا: هذا الأمر جاء لتقديم الدعوة لآبائهم من الصلب بدلاً من الدعوة لآبائهم من التبني والدعوى

الكاذبة، وليست الآية أمراً للدعوة إلى الأب بدلاً من الأم فليس هذا موضوعها كما هو معلوم من قصّة زيد وسياق هذه الآيات ذاتها لذلك قال "هو أقسط عند الله..فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم في الدين ومواليكم". فالكلام عن الآباء وليس عن الأمهات. فالأب الطبيعي أولى بالنسبة من الأب التربوي وبالتبني في حال التعارض بينهما، وحتى لا يكون للناس حق اختراع النسب غير الواقعية كما أن الظهار هو أن يدعي شخص أن زوجه هي أمّه، هذا الصنف من تزييف النسب بالهوى هو المرفوض. على هذا الأصل، وعلى أصل الأخذ بالأقرب للحق في حال تعارض الأقرب والأبعد، نصل إلى أن النسبة إلى الأمّ أقرب إلى الحقيقة من النسبة إلى الأب التي لا يمكن تحصيل العلم بمعنى العلم بها إلا بالأداة الحديثة كتحليل الحمض النووي وسبيل الكشف الإلهي فإن الله ذكر العلم كما قال "فاعلم أنه لا إله إلا الله" وقال أن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

على أية حال، هذا الاستعمال النبوي لنسبة الإنسان إلى أبيه وأمّه معاً وقبول مثل ذلك أصل نافع في إدخال الأمّ في النسبة بعدما أقصاها الذكور قهراً أ جهلاً.

ملحوظة: في إسبانيا ومن هناك انتقل إلى بلاد أخرى وحدّثتني بذلك صاحبتي المكسيكية، ينسبون الولد إلى لقب أبيه وأمّه معاً. هذا موافق للعمل النبوي.

٦- قالت فاطمة { سمعت نداء المنادي منادي رسول الله ينادي "الصلاة جامعة" }

أقول: الصلاة جامعة لا مفرّقة. بالتالي افتراق المسلمين في الصلاة جهل وبعد عن الصلاة التي نادى إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. بناء على المذاهب الفقهية المعمول بها في الأمّة صارت الصلاة مُفرِّقة لا جامعة. بل صرنا نجد ليست فقط التفرق في الصلاة بل انتقل ذلك إلى المساجد فصار أهل كل مذهب أو طائفة يصلّون في مسجد مختلف عن مسجد مَن يخالفهم في تفاصيل الصلاة أو يحتكر بعضهم المسجد لكي لا تُقام فيه إلا الصلاة التي يؤمنون بها. إذا كانت الصلاة عماد الدين، والجمع صفة الصلاة، فالذين افترقوا في الصلاة كسروا الدين. بالتالي، لابد من حلّ الاختلافات الفقهية في الصلاة بنحو ترجع فيه الصلاة إلى صفة "جامعة". أي حلّ لا يؤدي إلى الجمع بين المسلمين حتى تكون صلاتهم جامعة فهو حلّ باطل. المعيار بلوغ {الصلاة جامعة} فانظر على هذا الأساس.

٧- قال النبي { لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم }

أقول: البيعة رابطة سياسية، الإسلام رابطة روحية، وبهما معاً يتم تغيير الدين من وجهه الظاهري والباطني.

٨- قال النبي {فحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال..فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدّثكم عنه وعن المدينة ومكة}

أقول: العبرة ليست بحديث تميم، لكن العبرة بموافقته لحديث النبي. عرض أحاديث الصحابة على حديث النبي هو ما يجعل لحديثهم قيمة. ثم حديث النبي على قسمين، حديث مقطوع نسبته إلى النبي وهو القرءان، وحديث مظنون نسبته إلى النبي وهو الرواية. أما القرءان فمكتوب ونقلته الأمّة ومقروء ليل نهار من الكافّة حتى النساء والصبيان والعبيد في ذلك الزمان وفي كل زمان إلى زماننا، فلا يدانيه كتاب ولا حديث في نقل ولا عقل. وأما الروايات فهي مظنونة ولم ينقلها إلى واحد أو بضعة أفراد أو جمع من الصحابة لا يبلغون مائة في أندر الحالات ولا يكاد يوجد هذا وإنهم يعتبرونه متواتراً لو نقله بضعة أفراد أو فوق ذلك بقليل. بالتالي لابد من عرض الحديث المظنون على الحديث المتيقن لنرى مدى موافقته له، فإن وافق حديث الصحابي حديث النبي فبها ونعمت وليعجبنا ذلك، وإلا فلا.

٩- يدخل الدجال كل قرية إلا {مكة وطيبة}، قالت فاطمة {قال رسول الله وطعن بمخصرته في المنبر "هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة"}

أقول: مكة هي الروح، وطيبة هل الكلمة. لذلك أشار النبي إلى منبره بأنه طيبة ثلاث مرّات ويقولون أنه قصد المدينة، لكن الأمر أدقّ فإن منبر النبي هو قلب المدينة وليس المقصود دار فلان وحديقة علان في تلك الأرض. "أنا مدينة العلم"، وهذا العلم مكان صدوره الأبرز هو منبر النبي. والمنبر حيث ينطق بكلمته الطيبة، "مثل كلمة طيبة". فطيبة إشارة إلى مكان النطق بالكلمة الطيبة. أما مكة فهي الروح والمركز وقلب القلب.

الدجال له الخيال، لذلك لا يدخل مكة الروح لأن "الروح من أمر ربي" والروح أعلى من الخيال لتجرّده وتقدّسه العقلي. لذلك لا يدخل طيبة الكلمة النبوية لأن النبي "لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" فلا يقع دجل في كلمة النبي بل كلمته هي العصا التي "تلقف ما يأفكون" "فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون". بالتالي، مَن جعل أمر نفسه متعلّقاً بالروح الربانية وأمر دينه مأخوذاً من الكلمة النبوية، فلا يمكن لدجال أن يقربه ومن هنا قال النبي أن قراءة أول عشر آيات من سورة الكهف تقي من الدجال وهي آيات أي كلمات روحية ونبوية، فإذا كانت أول عشر آيات من سورة الكهف تقي من الدجال فما بالك بباقي سورة الكهف فما بالك بباقي القرءان.

قال النبي {هذه طيبة} ثلاث مرّات. لماذا؟ لأن للنبي ثلاث أصناف من الكلمات باعتبارات مختلفة. الصنف الأول كلام عن الله، والصنف الثاني كلام عن الآخرة، والصنف الثالث كلام

عن العمل الصالح، كما قال الله "مَن ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون". هذا اعتبار. اعتبار آخر، أن الكلمة تتعلّق إما بذات الله وإما بأسمائه وإما بأفعاله. اعتبار ثالث، أن الكلمة تشمل ثلاثة أبعاد، أعلاها العقل أي الفكرة المجردة التي تشير إليها، وأوسطها الإرادة أي العمل الذي تبعث عليه أو تنهى عنه، وأدناها الحس أي صورة الكلمة حين يتم النطق بها أو خطّها. اعتبار رابع، الكلمة تجريد مطلق وخيال وتجسيد مطلق، فهي تجريد مطلق من حيث معناها وتجسيد مطلق من حيث صورتها وخيال برزخي من حيث الناطق بها الذي هو رسولها المبلغ للمعنى بوسيلة المبنى.

١٠- قال الدجال عن مكة وطيبة {وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها}

أقول: هذا مثل لمنافذ دخول الشبهات والضلالات على القلب، فكل نقب يعني كل مدخل، وكل مَلَك يعني الحجّة والبيّنة التي تضعها في قبال ذلك المدخل حتى لا تميل إلى فكرة باطلة أو إرادة عاطلة. لابد من الوعي بالمداخل والمخارج وأصناف الشبهات العقلية والضلالات الإرادية، ثم وضع حجّة مبنية أمامها كما قال الدجال {استقبلني ملك بيده السيف صلتاً} أي مسلولا، فلابد من تجريد الحجج وتبيينها وتذكّرها باستمرار واستحضارها حتى تواجه بها الشبهات والضلالات والرغبات والرهبات الدنيوية والبشرية.

مثال ذلك حين جاء شيطان إلى المؤمنين وقال لهم "إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم"، لاحظ أن "إن الناس قد جمعوا لكم" فكرة عن واقع، ثم "فاخشوهم" أمر لهم بفعل شيء، بالتالي جمع الشيطان هنا بين الشبهة والضلالة، بين الدخول إلى عقولهم وإلى إرادتهم. لكن كان مَلَك "قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" مصلتاً سيفه أمامه، فلم يستطع الدخول إلى عقلهم أو إرادتهم "فانقلبوا بنعمة من الله وفضل"، لأن "حسبنا الله" خبر يواجه خبر "إن الناس قد جمعوا لكم" أي حسبنا الله في مواجهة جمع الناس لنا، ثم "ونعم الوكيل" تقابل " فاخشوهم" أي نتوكّل عليه في غلبتكم وهو يفعل بنا ويقاتل بنا عنّا فلا نخشى مَن هو أقوى منّا ومعنا القوي العلي سبحانه الذي يحفظنا وينصرنا ويجعل عاقبتنا خيراً. على هذا النسق لابد من تحصين أنقاب الروح والنفس والعقل والإرادة بأقوال وأفعال وحجج بينة.

...

الأمر الواحد قد تكون له مائة حجّة، ظاهرة وباطنة. وكل حجّة قد يرد عليه سبعة اعتراضات. وكل اعتراضات يحتاج إلى سبع حجج. فإذا كان لا يصح إطلاق الأمر للإرشاد إلا بعد بيان كل الحجج واعتراضاتها وأجوبتها لما عمل الإنسان شيئاً إلا قليلاً ولعجز عن التصرف في شؤون حياته العامّة والخاصة. لذلك قد ترد الأحاديث النبوية وكلمات الأولياء بغير حجج

تفصيلية وتأتي على سبيل الأمر الصرف، أو قد يأتي معها شيء من البيان لكن لا يكون البيان كله بل حجّة واحدة على الأقلّ حتى يكون للعقل نصيب أيضاً. إلا أن هذا لا يعني عدم جواز البحث عن الحجج وذكر الاعتراضات والإجابات على الأوامر، وإنما يعني أن الضرورة العملية تقتضي غالباً تأجيل الاحتجاج بعد الثقة بعقل الآمر، تأجيل الاحتجاج وليس إلغائه. والضرورة تقدّر بقدرها. فإذا استطاع الآمر ذكر حجّة متينة فهذا أولى من عدم ذكر حجّة، وإذا استطاع أن يرد على اعتراض من ألف فهذا خير من عدم الرد على أي اعتراض. البناء على الضرورة العملية لإلغاء الأعمال العقلية من شأن أرباب الجاهلية.

...

{حنفاء لله} الحنيف هو المائل، أي المائل من شيء لشيء. مالوا {لله}، فمالوا من ماذا؟ من الخلق. فلماذا عرّفهم بالميل من الخلق لله؟ لماذا عرّفهم بالميل؟ لأن الأصل في الإنسان أن ينظر إلى كونه مخلوقاً، فهو يولد لا يعلم شيئاً ومن والدين وفي قيود الطبيعة، فجهله ومولوديته وقيوده تجعل نمطه المعتاد من الفكر هو النمط الطبيعي. فلمّا مال بعض الناس من هذا الأصل لله تعالى الذي هو العليم المطلق والذي لم يلد ولم يولد والمتعالي وكل ما لله من أسماء تجعله مغايراً للخلق ومضاداً له، استحقوا اسم الحنفاء. الحنيف هو الإنسان الفطري، الذي يميل لله فاطره ولا تحسبه المفطورات من الأرض والسموات.

...

كنت في صلاة النافلة ليلة أمس أقرأ من سورة الأعراف فلمّا بلغت آية "أو تكونا من الخالدين" أخذني الحال والجذب فغمّضت عيني ورأيت نفسي في الجنّة قاعد على الأرض وأمامي كتاب الله وأنا أتكلّم لجمهور أمامي على مد بصري فيهم ١٢٤ ألف نبي كما قيل لي وفوقهم ملائكة كالطيور بيدهم المحابر يكتبون عنّي ثم نزل عليّ رعد مضيء من السماء فعدت إلى صلاتي في الأرض.

...

قالت: انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن هذي الإراده للانسان، (فيكون) هذي لله. يعني اذا اراد الإنسان ان يقول للشي كن الله يقول فيكون. احس روحي فسرتها بذي الطريقه ، تعتبر صح؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته نعم لها وجه صحيح. لأن الله يمد الإنسان بما يريده، فقال "الذين اهتدوا زادهم هدى" وقال "يمد له من العذاب مدا" وقال "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم"، وقال "اذكروني اذكركم" وقال "ادعوني أستجب لكم"، وقال "آتاكم من كل ما

سألتموه". فلاحظي في كل هذه الآيات وغيرها الله يكوّن ما يريده الإنسان كما فُتِحَ لروحك في تفسيرها. الآية واسعة تشمل ما ذكرتيه والحمد لله. إذا فُتح لك معنى من آية وكان حقاً فلابد أن توجد شواهد أخرى من القرءان عليه. فحاكمي ما يتجلى لروحك لبقية معاني القرءان ليزداد عندك البيان بالبرهان.

...

قالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مرحبا سلطان ، أحس في ضياع لإتخاذ قرار و أحتاج مساعدتك حتى أعقل الأمور ، إن إستطعت مساعدتي من فضلك. لي ٥ شهور ساكنه عند أخوي في بيته ، أخوي غير مؤمن بالله وحياته كلها ضلال ، حياته دنيويه بشدة يسعى في الدنيا للدنيا ! مايعترف في وجود الله ابداً كنت أعتقد ان طالما انه ما يفرض علي أراءه وافكاره ف أنا حره ، بس الحقيقة مع الوقت اكتشتفت ان هالشيء مايكفي لأن وجودي مع أحد ضال جداً متعب نفسياً لي ويخنق ، نمط حياته و ممارساته تأثر سلبًا علي . كنت أعتقد اني أقدر أتجاهله وما اتأثر بنمط حياته و أركز على نفسي واستمر في طريقي . لكن بكل مره انا استمر في طريقي و أوعى أكثر في القرآن وأشياء أجهلها ، أتحول لكتلة من الغضب بسبب وجودي مع أحد ضال و ظالم لنفسه بجهله ، ومعظم الوقت نفسي أحاربه وأعلمه . أحس اني أظلم نفسي وأعذبها بتواجدي معاه وأبداً مو مسؤوليتي أقوله و أوريه. و أحس فعلاً هذا الشيء صار يستنزفني وأفكر في الرحيل. السؤال : هل السكن مع أحد ضال ممكن تضرنا و تضلنا ؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مرحبا لولوه الجواب: السكون مع الضال مثل ماء زمزم في وعاء وسخ. قطعاً سيتأثر ويتغيّر. ومثل هديد سليمان محبوس في قفص مع غراب يطعن فيه ويؤذيه بعفن رائحة فمه المعتادة على أكل جيف الأموات. من التعذيب العيش مع الغريب، الغريب بالروح والمعنى. فانظري مدى حبك للتعذيب وقومي بذلك. لكن إن كنت مضطرة للعيش معه فاسألي الله أن يغيّره واشفعي فيه. لعل الله يخلصك من هذا الهم.

...

قالت: الي انا اعرفوا انو القران دائما حديث و ما يكلم مجتمع قديم فليش في انذار من شي لا يطبق في العصر الحديث الا لو كانت محرمة حتى في العصر الحديث.

قلت: المبدأ هذا غير سليم. لأن القرءان فيه مثلاً كلام عن المشركين الذين يحرمون بعض الأنعام (كما في سورة الأنعام) لكن صورة ذلك التحريم إما معدومة في زماننا أو شبه مختفية تماماً

ولم يعد في مشركي العرب من يقولها عموماً. وهكذا يوجد نهي عن عبادة اللات والعزى واليوم لا يوجد كما كان يوجد ذلك من قبل. إذن قد يوجد نهي في القرءان عن شيء ناسب زمان ماضي وانتهى. الفكرة وراء النهي مستمرة حتى لو انتهت الصورة. المهم فهم تلك الفكرة. ثم قد يوجد نهي عن شيء انتهى ويمكن أن يرجع فيكون النهي في القرءان متوجهاً له حين يرجع أو حتى لا يرجع أصلاً بعدم فعل الناس له اتباعاً للنهي القراني.

قالت: خلينا نقول المبدا فعلا غير سليم ليش ينزل علينا كتاب مو كل شي فيه لنا في هذا الزمان ليش اللخبطة. ليش ما نزل الكتاب باجزاء مثلا حسب الزمان.

قلت: هذه العبارة (ليش ينزل علينا كتاب مو كل شي فيه لما في هذا الزمان) غير دقيقة. لأن كتاب الله فيه كشف للحقائق الإلهية والروحية والنفسية التي تتجاوز الزمان وتظهر في كل زمان. وأما الأمور العملية، فالقواعد القرانية لكل زمان. وأما تفاصيل الأعمال، فالقرءان جاء عموماً بأوامر واسعة حتى نطبق نحن بحسب زماننا لون وشكل يناسبنا. فكتاب الله لكل زمان، لكن الله يبعث أولياء في كل زمان يجددون الدين وينزّلون أوامره على زمانهم. فما سألتي عنه متحقق فعلاً.

...

قال: السلام عليكم أخ سلطان..كيف حالك؟؟ فقط أردت أن أسألك عن حقيقة إستخراج جواب أي سؤال عن طريق أسرار و قواعد علم الحروف!! كيف لهذا العلم أن ينفذ لجواب السؤال علما و أنه لا يعلم الغيب إلا الله؟؟ هل فعلا لكل حرف ملائكة تقوم به؟؟ هل فعلا علم الحروف مرتبط بما هو مكتوب باللوح المحفوظ؟؟ من هم علماء الحروف في زماننا؟؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته الحمد لله الله يسلمك بالنسبة لاستخراج جواب الأمور من علم الحروف: فأصل هذا أن كل حرف يعبر عن حقيقة كلية، وكل ما يظهر في الكون هو مجموع من هذه الحقائق الكلية. بالتالي مَن عرف الحروف عرف الأحداث الكونية. وهو علم عالي عظيم يختص الله به أوليائه المقربين. بالنسبة لعلم الغيب، فالله يعلم الغيب بذاته ويعلم مطلق الغيب. أما الرسل والأولياء فيعلمون الغيب لكن بتعليم الله وبنحو مقيد وجزئي كما قال الله "فلا يُظهر على غيبه أحداً إلا مَن ارتضى من رسول". وكما علّم الله أم موسى غيب مستقبل موسى وهو صغير "إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين" وعلمت هذه الغيبيات بطريق الله "أوحينا إلى أم موسى". بالنسبة لكون كل حرف له ملائكة: فهذا ما قرأته في كتاب شمس

المعارف للبوني رحمه الله وهو من من علماء الحروف. وكما نأخذ علم الطب من علماء الطب فنأخذ علم الحرف من علماء الحرف. ومَن يعرف حُجّة على مَن لا يعرف.

إن كل موجود عالي له وسائل أدنى منه في مراتب الوجود تُظهره وتقيم ظلاله في هذا العالم الأدنى. وبما أن الحروف أعلى عالم من حيث أن الله ذكر الحروف حتى قبل أسمائه الحسنى كما في إن كل موجود عالي له وسائل أدنى منه في مراتب الوجود تُظهره وتقيم ظلاله في هذا العالم الأدنى. وبما أن الحروف أعلى عالم من حيث أن الله ذكر الحروف حتى قبل أسمائه الحسنى كما في بداية سورة آل عمران، فالحروف هي أول تجلي الهوية الإلهية ومن الحروف ظهرت الأسماء الحسنى. بالتالي الأسماء تقوم بالحروف، والنبي يقوم بصفات الأسماء كما قال "سبحان ربك رب العزة" فالنبي منزل العزة التي هي صفة العزيز سبحانه، كذلك الملائكة تقوم بنور النبي. بالتالي الملائكة تقوم بالحروف بهذا التأويل.

بالنسبة للارتباط ما بين الحروف واللوح المحفوظ. نعم يوجد ارتباط. لأن الله ذكر الحروف قبل ذكر القران في بعض السور، وذكر الحروف قبل ذكر حوادث الأكوان كما في سورة الروم، بالتالي من الحروف اللوح المحفوظ الذي فيه حديث القرءان وحوادث الأكوان.

أما عن علما الحروف في زماننا: فلا أدري. لكن يقيناً لن تجديهم إلا بين أهل التصوف والاتصال الحي بالله والقرءان والنبي.

...

قالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اخي الكريم بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) صدق الله العظيم سورة البقرة اية ٩٧ هنالك ربط عظيم بين في هذه الاية بين نزول جبريل على قلب الرسول عليه الصلاة والسلام بإذن الله مصدقا لما بين يديه هل المقصود بين يديه هو كتاب الله القران الكريم ؟ ام هنالك امر اخر شهده الرسول عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام. ارى في هذه الاية نور ساطع وقوية جدا وفيها امور كثيرة لا اعرفها ويارب يفتح لنا فيها كل خير وصلاح ، أرى حسب فهمي البسيط جدا ذكر الله سبحانه اعلى المقامات بالتصديق والبشائر الخير. هل نشهد التنزيل على القلب وليست الافكار والعواطف والاجساد لان الاخيره هي وسائل للتعقل وفتح القلب السليم. ما هو معنى جبريل ؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مرحبا فلانة.

(قل مَن كان عدواً لجبريل) العدو المضاد. فمن كانت نفسه وما في عقله مضاد لشؤون جبريل، فإنه سيرفض ما جاء به جبريل وما يمثله. يعني كلما صارت نفوسنا أقرب لجبريل

ومشابهة له كلما كنا أكثر استعداداً وتقبلاً للقرءان. جبريل من الجبر وهو الذي يجبر نقص القلب بالوحي، فهو مُكمِّل القلوب بالنور الإلهي. بالتالي مُعلِّم القرءان من الناس يمثّل جبريل لهم.

(فإنه نزّله على قلبك بإذن الله) ليس كل معلم للقرءان، بل الذي أولاً يفهم القرءان بتفهيم الله له بليس بذهنه البشري، ثانياً الذي يراعي قلب المتعلم منه كفرد ويخاطب كل قلب بما يناسبه، ثالثاً يُعلِّم لأن الله أذن له وليس لأنه يشتهي ذلك أو يطلب دنيا وأجرة مقابل تعليمه.

(مصدقاً لما بين يديه) ما مضى من الأنبياء يتجلى أمرهم من جديد بهذا التعليم الحي فيشهد الناس حقائق قصص وأمثال القرءان في عصرهم، وكذلك ما سيأتي من أمر الآخرة ينكشف بهذا التعليم. (وهدى) بيان الأمور العملية والأحكام الظاهرة والباطنة يعني التي تتعلق بالجسم وبالقلب. (وبشرى) بيان الأمور العلمية وعواقب الأعمال وآثارها. (للمؤمنين) الذي يرون الآيات في الآفاق وفي أنفسهم ويستفيدون من تجاربهم كما قال موسى بعد الصعق "وأنا أول المؤمنين".

...

-١-

قالت: اريد تعلمني،

قلت: اعملك ايش.

قالت: القرآن. اريد احس اني متصلة بالله بأي لحظة. مااحس بهذا الاتصال حتى لو حدث ابقى اشك.

(وطلبت كتابي الدراسة الإشراقية فأرسلت لها كل كتبي الجاهزة)

وقلت: اذكري اسم الله بقلبك على الدوام. قولي (الله الله الله) على مدار اليوم. واجعلني لنفسك كل يوم وقت ثابت لتأمل القرءان. ولو وقت قليل لكن اجعليه ثابت والله يفتح لك.

-٢-

قالت: عندي سؤال عن الاكل لو سمحت. بالقرآن رب العالمين يكول حرم عليكم الميتة. بالقرآن رب العالمين يكول حرم عليكم الميتة. طيب هو الفرق بين الحيوان الي مات وحدة او الي انذبح شنو؟!! ما هو الاثنين ميتين. شلون أكلة اذا انا الي ذبحتة؟ او الجزار ذبحة. صار أشهر افكر

بالموضوع واتلخبطت بين كلام النباتيين والناس الي تاكل الاثنين. ماكدر اكل لحوم او سمك ماعندي قدرة نفسية. لما احاول اغصب نفسي اقول لا هاي افكار معدتي تظطرب وابقى عندي لعبان نفس. ممكن تساعدني بهالموضوع.

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أنا نباتي أيضاً. والأصل في الإنسان أكل النباتات لا الحيوانات. الحيوانات استثناء في الغذاء وحتى عند من يأكل لحومهم ينبغي أن لا يستكثر من ذلك. كانوا في الماضي يأكلون القليل من اللحوم حتى مع الإيمان بأنها حلال. أما عن الميتة فتفرق عن المذبوح من جهات لعل أهمها سيلان دم الذبيحة للخارج بالذيح بدلاً من تجمده في العروق وأكله بعد ذلك كما في حالة الميتة المتعفنة. لا نحرّم مع أحل الله، لكن نختار الأفضل والأطيب والأسلم والأعلى. والأفضل النبات. "ليأكلوا في ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون". الذبح شعيرة دينية. لكن ما يحدث في هذا الزمان ليس ذبحاً لله بل ذبح وقتل لمجرد الربح التجاري عموماً بدون أي تقديس لحياة وروح هذا المذبوح. فهذا نوع من الفسق الذي يمنع سلامة اللحم شرعاً. "أو فسقاً أهِلَّ لغير الله به". فمن أراد التنزه عن ذلك فقد راعى نفسه وكبح هواه وهو خير عظيم.

الحيوانات تصلي وتسبح وهي مسلمة لله، والإنسان الذي له حق أكلها لابد أن يكون على الأقل في نفس مستواها الديني أو أكبر. فإذا وجدنا الآكل لها أقل منها في ذلك كما قال الله "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا" و "بل هم أضل أولئك هم الغافلون"، فحينها تكون حياة الحيوان أولى من حياة هذا الإنسان، فليس من العقل ولا العدل قتله ليشبع به الجاهل الغافل شهوته.

قالت: يعني شلون بنفس مستواها الديني او اكبر ؟

قلت: يعني يكون من المسلمين لله والذاكرين له ومن الذين يقضون حياتهم على أساس عبادة الله . فحياة مثل هؤلاء تكون أعلى قيمة من حياة الحيوان، ولذلك يجوز له أن يقدّم حياته وتغذيتها على حياة الحيوان.

وحين يأكل الحيوان المذبوح شرعاً فأن هذا الحيوان يرتقي باندماجه في حياة الإنسان المسلم الذاكر بدلاً من الهلاك في الأرض بميتة طبيعية لا وزن لها.

-٣-

قالت: طيب سؤال ثاني. عن الصلاة. مااحبها وتركتها من اكثر من سنة. اغضب لما احد.يكلمني بهالموضوع. راااافضة تماما ارجع اصلي. مااحس هي هاي الصلاة الي رب العالمين يقصدها. شنو يعني صلتي وتواصلي مع رب العالمين محصور بأماكن ومواقيت!!! معقولة؟!! (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)

[* طلبا لمرضاتي لا رجاء لثوابي، ومصداقه قوله: * (واركعوا مع الراكعين) * إذ الركوع هو الخضوع والإذعان لما يفعل به فهو علامة الرضا الذي هو ميراث تجلي الصفات وغايته، أي: ارضوا بقضائي عند مطالعة صفاتي والتوجه عند القيام بالفعل علامة طلب الثواب والأجر لاستقلال النفس بصورتها، والسجود الذي هو غاية الخضوع علامة الفناء في الوحدة عند تجلي الذات.]

هذا الكلام أرسله لي شخص يقول هذا كلام ابن عربي في الصلاة.

قلت: الصلاة لها صور كثيرة ومعاني كثيرة. رفض بعضها من أجل حبنا للبعض الآخر يجعلنا كالذي يرفض الفاكهة لأنه يحب الماء. كله غذاء للجسم والتنوع فيه مفيد. كذلك في الصلاة. جوهر الصلاة مأخوذ من التبعية، الفرس في السباق يسمون الأول المُجلّي والثاني المُصلّي. جوهر الصلاة الإقرار بالعبودية والتبعية لله تعالى. مثلاً قول "بسم الله" يجعلك مصلية لأنك جعلتي نفسك وعملك تابع لاسم الله فهو الأول وأنت الثاني، خليفته يعني. وليس كالذي قال "أنا ربكم" أو كالذي "اتخذ إلهه هواه". الفاتحة هي الصلاة في كتاب الله، وقال النبي "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب". الآن، في كتاب الله أمر بصلوات بلا وقت وصلوات بوقت. لماذا؟ نحن نحيا بروحنا بلا وقت، ونعيش بأجسامنا بوقت. فكانت صلاة الروح دائمة كما قال "على صلاتهم دائمون"، وكانت صلاة الجسم موقتة كما قال "على صلاتهم يحافظون". لا ننقض صلاة الوقت بصلاة عدم الوقت، ولا العكس. نريد الاتصال بالله بجميع أبعاد وجودنا.

كذلك في المكان. مرة قال "لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله"، ومرة قال "فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام". لماذا؟ لأن روحنا بلا مكان، وجسمنا في المكان. فصلاة الروح لوجه الله، وصلاة الجسم لبيت الله. فنجمع بين الصلاة بلا قيد المكان والصلاة بقيد المكان. من النقص في الاتصال الاقتصار على نوع من الاثنين.

أما الكلام الذي نقلتيه عن ابن عربي: هذه مواجيد وبواطن الصلاة وليس فيها إنكار لأحكام الصلاة الظاهرية، بدليل أن ابن عربي نفسه في الفتوحات المكية وغيره من كتبه شرح أحكام الصلاة الظاهرة مع ربطها بمعاني باطنة، وهو نفسه كان من أشد المتمسكين بالصلاة الشرعية.

من أسماء الله الأول والآخر والظاهر والباطن. فقوله (الأول والآخر) يتجلى لنا في صلاتنا في قيود الزمان، فنرى أول وآخر بجريان الزمان، كما أن الصلاة لها أول كالتكبير وآخر كالتسليم ودرجات في الوسط. وقوله (الظاهر والباطن) يتجلى لنا في صلاتنا في قيود المكان، وكذلك بأننا نعمل بجسمنا صور ما بين الحركة والسكون، ونعمل بعقلنا كلمات ما بين قرءان وتسبيح وغيره. كذلك يكون للصلاة أحكام ظاهرة ومواجيد ومكاشفات باطنة.

الطريق لمعرفة حكم الله إما أن يوحي الله لكِ وإما أن تأخذي الوحي من رسل الله. فانظري أي واحد من الاثنين عندك واعملي به.

قالت: تعرف شي. لما اشوفك احس اني اشوف المسيح رغم اني مشايفتة ولا اني مسيحية.

قلت: كل أمثال القرءآن متحققة بدرجات متفاوتة في أهل القرءان. والمسيح أحدها. وقد رأيت المسيح في الجنّة وكلمته وكلمني وكان في مكان مرتفع شهدت وجوده لكن لم أرى وجهه. كان هذا قبل أكثر من عشر سنوات. وقبل بضعة أسابيع نزل المسيح بصورته في جدار بيتي هنا خلف مكان جلوسي. لمّا رأيته في الجنّة كنت راكباً على حيوان يشبه الأسد لكنه ألطف وأهيب وكله شعر أبيض كثيف وشديد الجمال، كانا اثنين، فركبت أحدهما فانطلقت فبلمح البصر قطع مسافة كبيرة ثم وصلنا إلى تحت مكان المسيح فناديته وقلت له أن ينزل ليركب معي على الدابة الثانية فقال لي "ليس الآن" فعرفت أنه لم يؤذن له بالنزول بعد. لكن قبل أسابيع رأيت أول نزوله بصورته من رأسه إلى بطنه ويديه إلى ما قبل الكفين ونظرت إليه لفترة ثم اختفى فلم أره على الجدار.

...

قالت صاحبة لي: ويصدق كلامه قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع: "إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق ألا يُوطِئن فرشكم غيركم ولا يُدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة".

يعطيك العافية سلطان عندي سؤال بعد اذنك ايش ممكن يكون معنى الفاحشة هنا غير الخيانة الزوجية بالمفهوم الشائع المذكور قبلها؟

قلت: الله يعافيكي عايشة. لو قال الفاحشة فقط لعرفنا أنه يقصد كل أنواعها. لكن لما قال "يوطئن فرشكم" قبلها ويحتمل معناه الزنا برجل كان معنى الفاحشة هو الجنس مع امرأة أخرى. لأن الفاحشة إما بالمثل وإما بالغير مثل قول لوط لقومه الرجال "أتأتون الفاحشة".

وأشارت آية باحتمال إلى فاحشة المرأة بالمرأة في قوله "واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم". إذن توجد الخيانة الزوجية وتوجد المثلية الجنسية.

أما الخيانة الزوجية أو الزنا فجوهر الزواج هو الرضا بإقامة امرأة علاقة حصرية مع رجل ليس من محارمها ولا هي من محارمه. وباقي الأمور فروع تنظيمية تتناسب مع المجتمع واختلف الفقهاء فيها كلها. مثلاً، شرط الولي والمهر والخطبة والإشهاد والوليمة وكل ذلك اختلفوا فيه ما بين قابل وراد وما بين درجات مختلفة في عمله وما بين المقصد منه واختلافه بحسب الزمان والمكان والحال وهلم جراً. سأكتب إن شاء الله مقالة في شرح هذا الأمر تفصيلاً. بالمناسبة حتى "العلاقة الحصرية" اختلفوا هل من شرطها قصد التأبيد أو يجوز فيها التأقيت. ثم من المعلوم أن المرأة هي الواجب عليها قطعاً الانحصار برجل واحد لكن الرجل يجوز له ومن سنة النبي التعديد. فالعبرة الكبيرة هي معرفة نسب الولد بأكبر قدر ممكن من الظن. في ذلك الزمان لم يوجد تحليل الحمض النووي فاضطروا إلى وضع قيود على المرأة بشكل أكبر حتى يتأكد الرجل بأقوى درجة ممكنة أن الولد ولده، وإن كان النبي أشار إلى الأخذ بمبدأ التشابه بين الولد والرجل لإثبات أنه ولده لكن لأنه معيار سطحي ومشكوك فيه ويندر وجود مَن يحسن هذا الفن رفض تقريره كمبدأ لإثبات النسب وقرر مبدأ "الولد للفراش".

لكن في زماننا هذا يمكن تفعيل مبدأ التشابه في كل مكان يسهل فيه تحليل الحمض النووي. فيتم بذلك رفع القيود الموضوعة فقط من أجل تسكين شكوك الرجل بأن الولد ولده حتى ينفق عليه ويورثه. اقرأي مقالتي التي أرسلتها قبل أيام عن مفتاح دعوى مريم ومحمد ففيها إشارة لهذا الأمر بتفصيل أعمق.

قالت: شكرا على الاجابة بارك الله فيك وفي علمك. سؤال فرعي اذا تأذن لي ليه في آية (واللاتي يأتين الفاحشة من نساءكم) استخدمت صيغة الجمع، في حين (واللذان يأتيانها منكم) مثنى؟

وسألت عن فقرة "لكن في زماننا هذا تفعيل مبدأ التشابه...الخ" فقالت: قرأتها للتو، عميقة وولدت عندي أسئلة وتعليقات على بعض النقاط ممكن نتناقش فيها لاحقا.

وقلت عن سؤالها عن الفرعي: فكرت في نفس ما خطر لك والجواب الذي جاءني "مقرف" شوية لكنه واقعي. لأن المثلية ما بين الرجلين تستحيل واقعياً في العادة إلا ما بين رجلين اثنين بسبب الوضع البيولوجي. لكن ما بين النساء ممكن أكثر من اثنين لأن التقييد في الأعضاء وطبيعة عملها غير محدد باثنين بالضرورة في العادة.

قالت: أو لأن الفاحشة في الآية الاولى تشير للخيانة الزوجية وللمثلية أما الآية الثانية فللمثلية فقط ودا حيولد سؤال لماذا لم تذكر الخيانة الزوجية من جهة الرجل ف يستبعد دا التفسير.

تعليقا على معنى الفاحشة في الخطبة بأنه علاقة مع امرأة أخرى: سبق وأشرت في احدى كتبك ب طبيعيّة تلذذ المرأة بالمرأة وتم الاستدلال بآية (زين للناس حب الشهوات من النساء) فضلا عن مجالس المثلية الجنسية والتي في احسن الاحوال لا تعتبره فاحشة، فما هو رأيك؟

قلت: نعم، لهذا قلت "وأشارت آية باحتمال". باحتمال فقط. ولكن الاحتمال الآخر أنه لا علاقة لها بالمثلية وبالمناسبة هذا رأي جمهور المفسرين أنه لا علاقة لها بالمثلية بل هي في فاحشة الزنا. ثم قصة قوم لوط نص في الرجال فقط. فحملها على النساء المثليات زيادة على النص. ثم في حالة الرجل والمرأة يمكن النظر إلى العلة من اعتبارها فاحشة والمجادلة على أساس انتفاء العلة في بعض الحالات فتكف عن كونها فاحشة. مثلاً أن يقال بأن العلة حفظ النسل لقلة المسلمين يومئذ فتكون الطفرة السكانية وتحول زيادة النسل إلى مشكلة بعدما كان حاجة يغيّر من نظرتنا للأمور. كما أن تحليل الحمض النووي وتوفره بسهولة يغير من أحكام إثبات الأنساب. وهكذا فإن "الحكم يدور مع علّته". خرق سفينة وقتل غلام برىء من العدوان على المال والنفس لكن لما تغيرت العلة تغير الحكم وصار صلب حكم الله هو خرق السفينة وقتل البرىء.

قالت: اذا افترضنا أن لا علاقة للآية بالمثليات، وبالرجوع لمبدأ انتفاء العلة، كيف يمكن لنا التأصيل في هذا الشأن كون لم تذكر علته؟ إسقاط إنتفاء العلة في زمننا شائك نسبيا والأمثلة كثيرة بعيدا عن هذا الجانب، فمثلا الجمع والتقصير في الصلاة انتفت علته من قبيل وجود جيش قد يهاجم في أي لحظة، أو حتى انتفاء التعب من السفر ومع ذلك لم نسقطه. ملاحظة جانبية: تأتيني مثل هذه الخواطر عندما استعيذ من وعثاء السفر وانا اتنعم في الدرجة الأولى! هل نعني حقا ما ندعو به.

قلت: هذه قضية أخرى لا تناقض الأصل الذي قررناه. في حال لم نعرف العلة، انتهى الأمر ولا يمكن نقض الحكم بانتفاء علته. توجد مسالك مقررة في كتب أصول الفقه عن كيفية اكتشاف العلة. ثم إعمال العقل في الموضوع مع فهم القرءان ومقاصده يفتح الله به ذلك. لا يوجد حكم

في كتاب الله إلا وله علة أو علل مقررة فيه بنحو ظاهر أو باطن ينفتح على أهل القرءان حين يدرسونه بالاستعانة بالله. بالنسبة لقصر الصلاة فإن جوهر الصلاة قراءة الفاتحة والقرءان في وقت محدد، هذا جوهرها من كتاب الله. والقصر والجمع لا يكون للجوهر بل لعَرض وزيادات شكلية على الصلاة مثل عدد الحركات ونحو ذلك. في كتاب الله صلاة الفجر وصلاة العشاء والتهجد. فقط . الفجر والعشاء مكتوبة، التهجد نافلة. العشاء وقتها "لدلوك الشمس إلى غسق الليل"، وفي هذا الوقت تم وضع أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء، لكن قرانياً هي صلاة واحدة، لذلك الجمع والقصر لا يغير الجوهر. فلما كانت الأربعة من وضع النبي جاز أخذ تفاصيل أحكامها من النبي طالما أن المروي عنه لا يغير جوهر الأمر القرءاني.

أما عن وعثاء السفر، فله وعثاء بمجرد الحاجة للذهاب إلى المطار والانتقال والاضطراب الذي قد يحدث في الجو والانغلاق مع مئات الناس في مكان ضيق وغير ذلك من متاعبه. فالدعاء سليم ولو بدرجة أخف من درجة مَن يسافر على بغلة في صحراء أو غابة.

...

قالت مؤمنة: شفتك في رؤية امبارح رؤيه مافها ش احداث قد مافيها حضور عالي جدا. وكانت الطاقه فيك من روح مولانا جلال الدين. وكان الزمان في الرؤيه قديم قبل مثلا خمس سنوات من الان.

فقلت: شكراً على التذكير لأن قبل خمس سنوات كنت أصفى نفساً من الآن بسبب قلة الأحداث المشوشة التي وقعت لي خلال الكم سنة الماضية. الله يرزقنا الصفاء ويجعل روحنا جميلة كمولانا ونكون من أهل الحضور بدون شرر ولا شرور ومع سلامة صدور وإفاضة نور.

فقالت: يارب كل الصفا والكمال والتمكين.

فقلت: آمين لنا جميعاً.

...

قراءة آية الكرسي سفر في بيت الحق تعالى.

تبدأ بمنزل الألوهية، وهو باب بيت الحق الذي مَن دخله كان آمناً ومَن مُنِعَ لعدم تناسب قلبه معه حُرِمَ. مفتاح الباب قول (الله)، فيسألك المَلَك "هل معه إله؟" فتقول (لا إله إلا هو)، فيفتح لك.

أول غرفة تقابلك تجد فيها سر الحياة والتكوين، فحتى تنفتح عينك اليمنى لرؤية سر الحياة فيها تقول (الحي)، ولتنفتح عينك اليسرى لشهود أساس الكون تقول (القيوم). فإذا شهدتهما حصل بينك وبينهما مناسبة روحية فيستيقظ قلبك يقظة أبدية فتعرف من نفسك معنى (لا تأخذه سِنة ولا نوم). ثم تخرج منها بعد التحلّي بهدايا اليقظة العالية، ستجد أمامك غرفة ثانية..

وهي غرفة المَلِك، فيها مقاليد كل شيء وخزائن كل شيء، وترى فيها كل المخلوقات موصولة بحبال من نور بشمس مقدسة فتقول (له ما في السموات وما في الأرض)، فتطلب الأخذ من هذه العطايا الملكية لكن تدرك أنك مملوك له فامتاز عندك الرب من العبد فتطلب مَن تتوسل به إذ لا يقوم عند الواحد أي واحد لأنه هو الواحد وحده، فإذا نظرت ستجد رسول الله قائم هناك عليه تاج الخلافة فتتوسل به لكسب العطاء فيقال لك من العناية بك (مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) حتى تعلم أن الخليفة عبد الله وليس مَلِكاً مستقلاً من دون الله. فتخرج من هذه الغرفة وعليك تيجان الوقار والكرامة ومعك منشور الخلافة الذي هو القرءان.

ثم تخرج إلى غرفة كلها من ذهب وفضة وفرشها من اللؤلؤ والمرجان، وهي غرفة العلم المحيط فتقرأ على جدرانها كلمات (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)، فإذا مددت يدك للمس شيء مما فيها نوديت (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) حتى تعلم أنه مهما علمت ففوقك أعلم منك وعلمك تابع لمشيئته فلا يجعلك علمك تستغني عنه.

ثم تخرج إلى حديقة واسعة فيها ثلاث دوائر من الأشجار الأولى فيها الكلمات والثانية المعقولات والثالثة المَثُلات، فيعطيك المَلك خلاصة خريطتها (وسع كرسيّه السموات والأرض)، فتجد سهولة إدراكها في نفسك فتعلم أنه من باب أولى (ولا يئوده حفظهما).

ثم في مركز هذه الحديقة التي حولها الغرف الثلاث في صورة المثلث الذي في وسطه دائرة، ستجد في مركز الدائرة نقطة نور هي التي يشع منها كل شيء وعليها يتأسس كل ما شهدته في هذا البيت الحرام، فإذا اقتربت من النقطة ستجد ناراً تُكلّمك وتقول لك (وهو العلي العظيم) فتستهلكك نار هويته التي علت فكل شيء تحتها وعظمت فكل شيء مظهر لها وتعيّناتها.

وحينها تكون نفسك الإلهية قد تنفّست وسكنت إلى ربها.

...

(ورد الحمدلة القرآني)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور. الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة. الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة. وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون. الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل. فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين.

الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين. الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. الحمد لله الذي هدانا لهذا. الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين. الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء.

الحمد لله الحمد لله الحمد لله ، الحمد لله الحمد لله الحمد لله ، الحمد لله وله الحمد.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله رب العالمين، الحمد لله رب العالمين، الحمد لله رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

...

(عن المسيح الدجال)

أ-المقدمة: مفتاح الخصال.

أهم مافي هذا الأمر هو خِصال الدجّال. صفاته ومميزاته. هذا ما تستطيع أن تفهمه وتشهده وتحذر منه ولا تتخلق به وتستطيع أن ترى مَن فيه شيء من خصال الدجّال. كما أن المنافق شخص له خِصال والمهم أولاً أن تعرف خصال النفاق حتى تنفيها عن نفسك وتعرفها إن ظهرت في غيرك فتحذر آثار نفاقه، كذلك في الدجال ستجد الروايات تقول أنه شخص لكن له خصال

والذي يتّقي خصال الدجال فلن يستطيع أن دجال من الدجاجلة ولا الدجال الأكبر أن يُدجِّل عليه. قراءة الدجال كأسطورة مثل قراة قصص القرءان كأساطير، هي قراءة عقيمة ولا تسمن ولا تغني من جوع بل تؤدي إلى إغراق في الظلمات وأنت لا تشعر لأنك لا ترى خصال هذه الأمثال في نفسك وغيرك فتمضي عليها فتهلك.

ب-الخصلة الأولى: قلب المفاهيم مع حفظ الألفاظ.
الدجل يعني التمويه وتغطية شيء بشيء لإخفائه وإيهامك بأن الغطاء يعبّر بصدق عن المُغَطَّى. لذلك تجد من أهم خصال الدجال "ناره جنة وجنته نار". قلب المفاهيم وعكس الموازين. اقرأ القرءان واعكس مفاهيمه وستجد أنك عرفت أصل فكرة الدجال من القرءان.

من هنا قيل أن السامري هو الدجال، لماذا؟ لأن جعل العجل إله بني إسرائيل وموسى، لاحظ أنه لم يتجرأ على التصريح بما هو عليه الشيء أي أنه مجرد عجل له خوار بل غطاه بلفظ "هذا إلهكم وإله موسى"، فدجله كان عبر تسمية الأشياء بغير حقيقتها، وإعطاء الأشياء الكفرية والظلامية أسماء دينية وإيمانية. هذه أكبر خصال الدجل.

لذلك قيل أن الدجال سيخرج في أمة محمد، لأنه لا يحتاج أن يدجّل على كافر فالكافر كافر، لكن حين يأتي إنسان ويُسمي ما اعتبره النبي ظلماً فيسميه "شريعة" وما اعتبره كفراً يسميه "عقيدة إسلامية" وما اعتبره طغياناً يسميه "طاعة ولي الأمر" وما اعتبره هجراً للقرءان فيسميه "اتباع العلماء" وما اعتبره جاهلية فيسميه "اتباع السلف الصالح وحب الصحابة وأهل البيت" وما اعتبره تفريقاً للأمة يسميه "اختلاف الأمة رحمة" وما اعتبره أكلاً للدنيا بالدين فيسميه "تفريغ العلماء للعلم ونصيحة المسلمين" وما اعتبره قهر الفراعنة يسميه "حراسة بلاد المسلمين" وما قال عنه هجرة في الله فيسميه "خيانة" وما جعله فريضة على الكل كتعلم القرءان فيسميه "يكفي أن يقوم به البعض"، وعلى هذا النمط، حين تجد المفاهيم انقلبت والأمور انتكست لكن مع تسمية المقلوب والمنتكس بألفاظ "هذا من الكتاب والسنة" (لاحظ مثل السامري "هذا إلهكم وإله موسى") فحينها ستشهد الدجل ومصدره وكيفيته.

ج-الخصلة الثانية: الإكراه في القول والدين.

في الرواية أن الدجال سيكون مع جنود مسلحين يجبرون الناس على الإيمان بألوهيته ومَن رفض سيقتله ويخرب معيشته.

أها، أين رأينا يا ترى إن كنت ترى هذه الخصلة؟ أين رأينا في أمة محمد رئيس عصابة مسلحة يجبر المسلمين بالقتل والمال على الخضوع لسلطته وتنفيذ أوامره وأهوائه؟ السؤال الأفضل: أين لم نرى ذلك !

لابد أن تقول فقط ما يريد الدجال قوله، لابد أن يكون دينك مثل ما يريد هو أن يكون دينك. إن لم تفعل، فسينشرك بالمنشار (هذه رواية قديمة عن النبي ! نعم، ينشر بالمنشار. الرواية في صحيح مسلم "يؤشر بالمئشار") أو لنقل أن في الأمر تعذيباً وقتلاً للمعارض له في قوله ودينه وحكمه. كذلك في رواية أخرى تخريب معيشة مَن لا يؤمن به. فلاحظ أن الدين عند الدجال ليس بالحكمة والموعظة والمجادلة بلا إكراه، بل الدين عنده والحكم والتبعية مبنية على إكراه القتال والمال. يعني الأمر عنده ليس بالاختيار بل بالمنشار !

إذا نظرنا في معظم شيوخ هذه الأمة سنجدهم قد برروا تماماً هذه الخصلة وجعلوها من صلب الإسلام والإيمان بل وجعلوها في أصول الدين التي يكفر من ينكرها، بل هم اليوم ينكرون على الأمم التي تجعل الدين والحكم والسلطة بالاختيار لا بالمنشار. واضح مستوى الدجل؟ عرفت الآن مَن هم رؤوس أصحاب الدجال؟

د-الخصلة الثالثة: اختزال الوجود والإنسان.

من أشهر ما قيل في الدجال أنه أعور. لكن مرّة قيل بأن عينه اليمنى هي العوراء مرة قيل بأن عينه اليسرى هي العوراء. ثم قال النبي "ربكم ليس بأعور"، وأشار النبي إلى عينه حين قال ذلك. ما معنى هذا؟

العين نرى بها فهي وسيلة العلم بالوجود. ربنا "عالِم الغيب والشهادة، ونبينا كان صاحب علم وطريقة وروح وكذلك صاحب قوة وشهوة وجسم ف"يأكل الطعام ويمشي في الأسواق" و "قل لأزواجك"، باختصار "أنا بشر مثلكم يوحى إليّ" فله جانب بشري وجانب روحي، عين على الطبيعة وعين على ما وراء الطبيعة، فهو يتعلم عن الغيب والشهادة. هذا معنى سلامة العينين. أما الأعور فهو الذي يرى بعين واحدة. وهنا يأتي الدجل.

من الدجالين مَن يرى فقط بعين الروحانية والغيب ونسبة الأمور لله تعالى ويركز على الآخرة. فهؤلاء عينهم اليسرى عوراء لأن أصحاب الشمال هم أهل الدنيا فالشمال مَثل على العين التي ترى بها ظاهر الحياة الدنيا. هؤلاء هم الشيوخ الدجالين الذين يجعلون الناس ينظرون فقط للجانب الروحاني من الدين وينبذون الجانب الأرضي والسياسي والجسماني منه.

في المقابل يوجد دجاجلة وهم أكثر عينهم اليمنى معطلة. يعني ينظرون فقط للدنيا والمادة وعقيدتهم التجسيم والتشبيه وهمهم يدور حول البدن وشهواته "كالأنعام بل هم أضل سبيلا". من هنا تقول الرواية "كأن عينه عنبة طافية": العنب أصل السُّكر والخمر "لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون"، والطافي يشير إلى السطح وكذلك هؤلاء ينظرون لسطح العالَم ولا يرون ما وراءه وفي باطنه. أسكرتهم الحواس وسجنتهم. تدين هؤلاء عادةً شكلي مظهري، لا كشف ولا فكر عميق عندهم، وهمهم الكمية وأساسهم الرياء والتفاخر بظواهر الأشياء والانتماءات، الإسلام فيهم أرقّ من قشرة تستطيع ثقبها بإبرة ولذلك يكثر فيهم الميل إلى العنف والاستقواء بالدول الطاغية وأحلامهم تدور حول قهر المختلف عنهم بالسلاح والدولة إن وجدوا لذلك سبيلاً.

إذا نظرنا في أكثر الأمة اليوم سنجد أن حكامها عموماً دجاجلة من النوع المسوح العين اليمنى، وأما شيوخها فأكثرهم ممسوح العين اليمنى وكثير منهم ممسوح اليسرى، وما بين التطرفين والدجلين ترزح العامّة.

ه-خاتمة ودعوة:
إذا قرأت عن الدجال ونحوه فابحث عن المعنى وخلِّ عنك المبنى الذي يظهر كأسطورة خيالية الذي لن يقدم ولن يؤخر في حياتك. لكن إذا جرّدت المعاني، فحينها ستفهم أساس الأمر وتراه في الآفاق وفي نفسك حتى يتبين لك أنه الحق

...
(عن رد أغاليط في مسألة المسيح الدجال منتشرة بين الناس)

أ- غلط (الدجال هو النظام العالمي الحديث الذي ترأسه أمريكا)
أقول: هذا غلط من وجوه:
أولها، الدجال في الروايات شخص (كان بعض الصحابة يحلف أنه ابن صائد الغلام اليهودي الذي أسلم لاحقاً، وحديث الجساسة، وكل أحاديث السنة والشيعة عموماً تشير إلى أنه شخص). ثم الدجال سيخرج حسب الروايات إما من خراسان أو أصفهان أو بلخ وهي في

أفغانستان، يعني سيكون من جهة المشرق والمشرق الإسلامي تحديداً وليس من أوروبا فضلاً عن أمريكا. قال النبي "مسيح الدجال رجل قصير أفحج أعور" وقال "الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان" ونحو ذلك كثير.

ثانيها، الأسباب التي جعلت هؤلاء الشيوخ والعوام ينسبون الدجل للبلاد الديمقراطية هو بالضبط أنهم هم أنفسهم الدجاجلة وفيهم خصال الدجال التي أنكروها حين لم يجدوها في تلك البلاد. يعني دجال يرمي غيره بالدجل.

ثالثها، كل ما يعتبرونه من مظاهر الدجل في أمريكا ونحوها موجود مثله بل أشد منه وأخطر في بلادهم وأنظمتهم. سمّي ما شئت وستجد إما مثله أو إن لم تجد مثله فستجد أكبر منه، ثم ستجد أن ما أنكروه على الغرب له وجه يبرره بل وبسهولة أحياناً، وستجد دائماً وبلا استثناء في أمريكا مَن ينكر المنكر علناً وبجرأة ومصادمة وهو حر طليق يدعو الناس للإصلاح بينما في أنظمتهم المبنية على أصول دينهم مُنكر المنكر في سجين أو قتيل أو طريد أو منبوذ لا ينتصر له أحد ولا تحترم ضميره دولة ولا مشايخ عادةً وإن فعلوا ففي الكتمان. هم يعيشون تحت أقدام أنظمة فيها جوهر خصال الدجال ويشتت انتباههم شيوخهم لشتم الآخرين بغير حق.

رابعها، فكرة الفلسفة المادية التي تعبر عن عدم الرؤية بالعين اليمنى الروحية، هذه لا تنطبق على أمريكا مثلاً، لأن في أمريكا من كل دين وفكر وفلسفة والدولة لا تقتصر على الأخذ بدين ولا قمع دين، ثم بشكل عام الإيمان بالإله الخالق معترف به في الوثائق المهمة القانونية والسياسية بل وحتى على العملة الورقية وكثير من مظاهر الإيمان وحقيقته قائمة في العامة وهم أكثر الشعوب تديناً من كل دين ومذهب في الأرض عموماً. ثم انتشار الفكر المادي شائع في كل البلاد، ولم يزل كذلك الحال منذ قديم الزمان، وما شكوى العلماء من "أبناء الدنيا" إلا تعبيراً عن مدى تسلطهم وكثرتهم الكاثرة في كل عصر. فانظر من حيث شئت فلن تجد حجّة لهذا الأمر.

خامسها، في رواية أن النبي قال "لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر". اليوم لعل الدجال هو من أكثر الأشياء ذكراً شرقاً غرباً وبمختلف التفسيرات. فإن قيل: هؤلاء يُعدّون الناس لاستقبال الدجال، نقول: "هؤلاء" الذين تشير إليهم

هم ما بين مؤمن بإله متعالي أو بربوبية بدون مظاهر ومعجزات أو ملحد تماماً لا يعتقد في الإنسان أنه أكثر من حيوان بقليل في أحسن الأحوال، فكيف يُعدّون الناس للاعتقاد بنبوة الدجال ثم بألوهيته (لأن الرواية تقول بأنه سيدعي النبوة ثم الألوهية)؟ ثم "هؤلاء" ينكرون أشد الإنكار الإكراه في القول والدين، ويعملون ليل نهار على ترسيخ هذا الأصل بكل وجه ثقافي وروحي وعقلي وقانوني، وهذا يناقض أكبر ما يقوم عليه أمر الدجال وهو إجبار الناس على عبادته. فإذا كان يوجد مَن يعدّون الناس للدجال فهم نفس هؤلاء الشيوخ الذين الإكراه في الدين عندهم وتعبيد الناس للمُتسلّطين هو لباب دينهم وأساس تفكيرهم.

ب-غلط (سنرى على جبهة الدجال مكتوب "كافر")

أقول: قد رأيت حتى بعضهم يرسم صوراً عليها هذه الكلمة. وهذا بحد ذاته من خصال الدجال. لأن الرواية تقول "يقرؤه كل مسلم" سواء كان "كاتب أو أمي". وفي رواية "مؤمن" أو "مَن كره عمله". هذا يعني أن الكتابة لن تكون بصورة مادية كالوشم مثلاً، تخيل هذا بحد ذاته دليل مادية المُتخيِّل. لأن الكتابة لو كانت مادة على الجبهة لما كان ثمة فرق بين المسلم المؤمن الكاره لعمله وبين غيرهم من الناس بل كل أحد سيرى ذلك.

تأمل جيداً. لولا أن الدجال مَثل على شخص في الظاهر غير كافر، فما فائدة تعريف الله له للمسلم بأنه كافر؟ يعني إذا جاء شخص لنفرض جدلاً يهودي أو بودي أو ملحد للمسلمين، فلا تحتاج لا لكتابة ولا يحزنون، سيعرف الجميع فوراً أنه كافر. فما معنى ذلك إذن؟ معناه: الدجال شخص كأصل أو خصلة في أشخاص كفروع يُظهرون الإسلام والإيمان، فيشتبه أمرهم على عموم المسلمين بسبب ما سيظهر منهم ولذلك قال النبي "إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث معه من الشبهات"، ومن هنا تأتي كرامة كشف حقيقته للمسلمين برؤية كفره صراحةً وبوضوح شديد ("مكتوب بين عينيه" تشير إلى معنى الوضوح الشديد. وتهجّي النبي لكلمة كفر حتى قال "ك ف ر" تشير إلى أن هذا الإنسان أو الناس كفرهم صريح لدرجة أنه في مجمله وتفاصيله ظاهر لعين المسلم القلبية).

الدجال مَثل جاء لتنبيهنا نحن كمسلمين، والكفر لا يعني شيئاً إلا عند المؤمنين.

ج-غلط (المقصود من أعمال الدجال هو شيء ظاهري مادي خارق للعادة)

أقول: هذه القراءة السطحية وإن شئت الدجالية لروايات الدجال. ويمكن ردها بسهولة ومن نفس الروايات والمعقول عموماً.

ففي رواية أن النبي قال عن ابن صياد لما عجز حتى عن معرفة شيء خبأه له "اخسأ فلن تعدو قدرك". وفي أخرى قال لصاحبه "ما يضرك منه...هو أهون على الله من ذلك" (قاله جواباً لقول الصحابي "إن معه جبل خبز وجبل ماء")، وفي رواية "غير ذلك أخوف لي عليكم" يعني غير الدجال أخوف علينا. فهذا ونحوه يشير إلى أن الخوارق المنسوبة للدجال ليست مادية وإلا لو كانت كذلك لكانت أشد من كل أمر ظاهر. فهي أمثال لأمور نفسية وعقلية وباطنية. لكن لما أخذها البعض كشيء ظاهري وقعوا في الحيرة والخوف.

ثم إذا كان الدجال ظاهرياً يحيي ويميت ومعه جنة ونار ويأمر السماء فتمطر ونحو ذلك، فعلى أي أساس يتميز النبي الحق من الكذاب والإله الحق من الباطل؟

ثم لا يمكن القول بأن الدجال سيفعل هذه الأمور بالتقنية العلمية، لأن لا أحد يعبد صاحب التقنية المعروفة المصدر ونحن الآن نستعمل أدوات كان ما هو أقل منها يُعتَبر من خوارق الجن وكرامات الأولياء في الصورة المجملة ومع ذلك لا نعتقد الألوهية لا في المخترع ولا في العالِم بالطبيعة.

وإذا كان المسيح الذي قال "إني عبد الله" اتخذه البعض إلهاً لأنه رآه يخلق ويحيي مع قوله "بإذن الله" (وعند اليسوعيين "بإصبع الله أفعل" و "يسوع المسيح الذي أرسله" ويشير لنفسه "ابن الإنسان" ويرجع إلى كتاب ربه المنقول ليرد على الشيطان)، فكيف إذا ترك الله إنساناً ليدعي الألوهية ويفعل كل هذه الأمور بقوة في ذاته. بل إذا كان الشيطان وهو الدجال الأصلي لم يجعل الله له سلطاناً قهرياً على أحد بل له الدعوة فقط والوسوسة، فكيف يعتقد الغافل أن الله سيعطي مثل هذه القدرات التي تتبع هوى طاغية في الظاهر؟ الله يقول أن السموات والأرض لا تتبع أهواء الناس بل لها سنن إلهية، ويأتي هؤلاء الجهلة ليزعموا بأن الله سيكسر سنته ويجعل الكون يرضخ لهوى الدجال.

لكن حين تقرأ أن قراءة فواتح سورة الكهف وقول "ربي الله عليه توكلت"، ونحو ذلك، ستعرف المقصود الجوهري من هذا المَثَل وتلك الأعمال بإذن الله.

قال: لا تصدق ما ترى وقتها (راح يسحروا أعين الناس) و يشربكوا العباد ببعض (كمان لمن تطلع الدابة راح إن شاء الله ينكشف الكذب)
قلت: السحر واقع والدابة خارجة لكن أكثر الناس لا يعلمون.

...

الفكرة في القلب مثل الشهاب المُنقَض، إن لم تمسكها بكتبتها تركتك سريعاً. فليكن معك دائماً وسيلة كتابة ولا تؤجّل كتابتها بحجة "سأتذكرها لاحقاً".

...

١-الولي أشد ثواباً وعقاباً وعقلاً وعدلاً من الفقيه الظاهري. واعتراضات الفقيه على الولي وإن كانت مبنية على أصل صحيح وأمر محسوس لكن الولي أحسن عملاً بذات الأصل والأصول عموماً منه وأعمق نظراً في المحسوس أيضاً.

٢-اعترض موسى بأصل حفظ المال على العالِم اللدني في قضية خرق سفينة المساكين. الأصل سليم والحس صحيح، لكن العالِم عمل بالأصل بطريقة أفضل لأن عدم خرق السفينة كان سيجعلهم يخسروا السفينة كلها بالتالي حفظ المال كله يقتضي الخرق لأن خسارة البعض أفضل من خسارة الكل. فأعطى العالِم موسى أصلاً جديداً وهو ارتكاب أخف الضررين، وفي باطن هذا الأصل الدلالة على أنه من الأولى خرق سفينة جسمك ودنياك وهواك في سبيل حفظ نفسك في الآخرة من الهلاك، وفي باطنه تذكير بسفينة نوح حيث حفظ الله القليل مع هلاك الكثير فمن باب أولى حفظ الكثير مع هلاك الكثير أي حفظ سفينة المساكين مع خرقها البسيط أولى من خسارتها كلها للملك الغاصب، وفي باطنه حجة للثورة على الملك الغاصب لأن وجوده يقتضي العدوان على الضعفاء بجبرية القوة فجاز عدلاً استعمال القوة الجبرية ضده وضد جنوده الذين ينفذون الغصب بأنواعه.

٣-اعترض موسى بأصل حفظ النفس حين قتل العالِم الغلام الزكي ظلماً، لكن حفظ النفس له درجتان حفظها للدنيا الفانية وحفظها للآخرة الباقية فعمل موسى بما هو أدنى وعمل العالِم بما هو أعلى وأبقى، فكان حفظ الغلام في الدنيا ليكبر ويكفر ويطغى إهلاك لنفسه في الآخرة وكذلك عذاب لنفس والديه في الدنيا وغمهما لمعرفة هلاك ابنهما في الآخرة كما اغتم نوح لابنه، فكان حفظ نفس الغلام في الجنة وسلامة نفس والديه الصالحين الذين يصبرون على بلاء قتله فيرتفعون في الجنة فيرتفع الغلام معهما في الآخرة بشفاعتهما أو شفاعته مع كسبهم لنفس

جديدة بوهب الله لهما ولداً باراً مما يعني كسب نفس جديدة وحفظها أولى مما أراده موسى واعترض به.

٤-الفقيه يحفظ سطح الشريعة، الولي يحفظ عمق وروح الشريعة بل وسطحها إن دققت. ولأن الشريعة موضوعة بقصد حفظ النفس للآخرة، وأما حفظها للدنيا فعَرضي وثانوي بالمقارنة ومن هنا شُرع الجهاد الحق مع أن فيه "فيَقتلون ويُقتَلون"، وحفظ النفس في الدنيا غرضه إمهال النفس حتى تكتسب الإيمان والخير فإذا تبين بوحي الله أن نفساً لن تؤمن بل ستكفر ولن تحسن بل ستطغى فلا قيمة لحفظها في الدنيا ومن هنا دعا نوح على قومه بحجة "إنك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّارا". الأحكام منوطة بعللها ومقيدة بمقاصدها، وأما أخذ الأحكام كصورة جامدة صنمية بلا روح ولا عقل فهذا فوق الجاهلية بدرجة وأحسن من الآبائية بقليل بل لعلهما يستويان.

٥-اعترض موسى بأصل العقوبة العادلة حين أراد من العالِم أخذ الأجر على عمله بدلاً من الإحسان المجاني كرد لعدم إحسان أهل القرية باستضافتهما فرد على عدم إحسانهم بعدم الإحسان إليهم عبر صورة أخذ شيء من مالهم يعني عبر تقليل مالهم. أما العالِم فكانت عقوبته أشد وبطشه أكبر بأهل القرية حتى على أصل اعتراض موسى، لأنه إن لم يصلح الجدار مجاناً فإنه كان سينقض وينكشف الكنز الذي تحته وكان أهل القرية سيأخذون الكنز ويزداد مالهم وقيمة الكنز بالتأكيد أكثر من قيمة إصلاح الجدار والذي لم يكن من المتيقن أنهم كانوا سيدفعون لإصلاح بل ولعل العالِم بسؤالهم الأجر على إصلاحه ينبههم على وجوده فلعلهم يكتشفون بسبب ذلك الكنز الذي تحته، فإرادة موسى تقليل مالهم كانت ستؤدي إلى تكثير مالهم، بينما إرادة العالِم الإحسان في الصورة إليهم كانت في الحقيقة معاقبة لهم من وجهين على الأقل هذا أحدها، والآخر أن موسى بإرادة معاقبة أهل القرية بإنقاص مالهم كان سيتعدى على اليتيمين ويعدم كنزهم، لكن العالِم حفظ مال اليتيمين فكان له ثواب حفظ مال اليتيم لوجه الله وحرم أهل القرية من التسبب بحفظ مال اليتيم فخسروا ثواباً أبدياً عظيماً.

٦-العلم مع الصبر. هذه من جواهر قصة موسى والعالِم. العلم مع الصبر وبقدره. موسى لم يصبر على عدم الاعتراض ولم يصبر حتى على الاعتراض لأنه قال "فإن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني" ولو لم يقل ذلك لصبر العالِم على أسئلته مهما لامه، ففقد موسى الصبر

من جهتين فاستفاد ثلاثة أمور بدلاً من ألف كما يقال كان العالِم قد أعدّها لموسى. عدم الصبر في العلم ذنب القلب، ولذلك قيل "إن العبد ليُحرَم الرزق بالذنب يأتيه"، عدم الصبر على ما يبدو من أهل الله قبل بيانهم التأويل لك يؤدي إلى خسارتك المعلومة والصحبة معاً. ولعل حديث "لا يبولن أحدكم في الماء الراكد" يشير باطنه إلى هذا المعنى، لأن الماء هو العلم وركوده عدم بيان تأويله واعتراضات الجاهل والعجول بالقول هي مثل البول، فتقزز وتنزّه عن مثل هذا القول كما تتنزه عن تلك المعصية والشرب من ذلك الماء النجس. ومن أمثلة تنجيس الماء اعتراضات الماديين والسطحيين والخوارج المارقين الذين يقرأون القرءان لا يجاوز حناجرهم فيصل إلى قلوبهم على أقوال وأفعال أهل الله المحققين والأولياء المكاشفين والعرفاء أهل التأويل. يأتي أحدهم ممن لم يأخذ القرءان بحقه بل بهواه فكان كاللص ويعترض ويزعم أنه يحافظ على النص. الشريعة من اسمها ماء، والماء حي، والحي لا يعقله إلا الحي، أما النص فجماد ميت ويناسب الأموات الروح والعقل. لا خير في شريعة تحولت إلى نصوص، ولا خير في فقهاء حالهم كاللصوص.

...

يوجد طريقان لتفسير القرءان: طريق صافي وطريق ملوث.

الطريق الصافي ينبني على هذا السؤال: افترض أن شخصاً يعلم اللسان العربي بإتقان تام وقلبه خالي تماماً من التحيز فهل يمكن إذا قرأ القرءان فقط أن يخطر بباله المعنى الذي فهمته أنت من قراءتك؟ مثلاً: سورة الفيل. ولو جئنا بأعلم أهل الأرض بالعربية وختم القرءان ألف مرة فلن يخطر بباله قصة أبرهة الحبشي وتفاصيلها التي يقال أن سورة الفيل تحكيها أو تلخصها. وهذا معنى الطريق الملوث، أي أن تعتمد في فهم الآية على مصدر غير القرءان يضيف شيء لا شاهد له من ذات القرءان بلسانه وتركيبه ونظمه. الطريق الملوث عادةً يولد شكوك وانتقادات لا حل مشهود لها أو ولا معقول حتى وينبني على الماضي المنعدم ويسبب اختلافات حزبية لا تجد حلاً يوحد المؤمنين بالرجوع إلى كتاب الله. الطريق الصافي يعتمد مبدأ الأمثال والتجدد في التأويل، بينما الطريق الملوث يعتمد عادةً على الشخصنة التاريخية والتحجّر بل التصنّم الفكري.

لأن القرءان قال أن فيه "تبياناً لكل شيء" و "تفصيل كل شيء"، يعني مما أراد القرءان تبيينه وتفصيله، وقال "صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مَثَل"، فهذه الكليات الثلاث المجموعة في ذات القرءان تبرر مبدأ الطريق الصافي.

العمل لا يكون إلا بأمر خاص وجزئي، وإن اعتمد على مبدأ عام وكلي، لكن الفرق بين الصافين والملوثين هو أن الصافين لا يجعلون التخصيص العملي سبباً لقتل المبدأ الكلي. مثلاً: قال الله "بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا"، فهنا أمر بالفرح، لكن كيف تعمل بهذا الأمر؟ قد يظهر الفرح بالغناء، أو بالتعلق الشديد بحب وتفضيل الانشغال به على غيره وعدم تقديم شيء عليه، أو بالرقص ثم الرقص قد يكون بألف شكل، وهلم جراً. طالما أن مظهر العمل لا يناقض أمراً آخراً، ويشتمل على جوهر الأمر الإلهي "فليفرحوا"، فالمظهر تابع للأمر الإلهي وهو مشروع. أهل الطريق الملوث عادةً يأخذون صورة واحدة للأمر الإلهي الواسع ثم ينكرون السعة ويضيقون على الناس ويرمون من جاء بصورة أخرى أنه خالف أمر الله لأنه خالف "السنة" النبوية مثلاً. ما يعرف بالسنة هو عادةً لون من ألوان أوامر القرءان، لكن أهل التصنيم جعلوا اللون هو عين القرءان والقرءان عين اللون. اللون يعتمد على الظروف الشخصية والزمانية والمكانية، بينما الأمر القرءان يكشف الحقائق والمقاصد الربانية. كذلك ما وضعه الفقهاء وغيرهم عبر التاريخ، فأحسن أحواله أنه لون لا يمكن تضييق السعة القرءانية به وإلا صرنا إلى العكوف على العبد الضيق بدلاً من عبادة الرب الواسع.

إذن أركان الطريق الصافي: فهم اللسان العربي، واعتماد مبدأ الأمثال في القصص القرءاني، والأخذ بالسعة وقبول تجلياتها في ما يتعلق بالشرع الرباني.

قال: الصفا والمروه.
قلت: الصفا والمروة فيهما ملاحقة السراب. أما هذه فزمزم ومستنقع.
...
الذي لا يفهم الأحاديث النبوية في ضوء الآيات القرءانية فسيغلط ويفتح باب شبهات ومنكرات وانحرافات حتمية.

خذ مثلاً موضوع جزئي وصغير مثل حديث "لعن الله النامصة". ما علاقة اللعن بالنمص؟ في كتاب الله لا يوجد لعن على النمص بل ولا ذكر مباشر له أصلاً. فمن أين جاء إذن والله يقول للنبي "اتبع ما يوحى إليك" و"أنزلنا إليك الكتاب لتحكم" و"فذكّر بالقرءان"، فالنبي كان يتبع ويحكم ويذكر بالكتاب، بالتالي كل أمره كان راجع إلى الكتاب. فإذا بلغنا أنه قال "لعن الله النامصة" ورجعنا إلى كتاب الله فلم نجد نصاً على ذلك، وجب واحد من أمرين: إما أننا لم

نفهم قصد الحديث وبالتالي لم نعرف مصدره في كتاب الله وإما أن الحديث كذب أو غلط أو لم ينقل بتمامه وسياق قوله. فما العمل هنا؟

لا يمكن أن يكون اللعن بسبب تغيير نمو الشعر أو شكله في وجه بحجة أنه تغيير خلق الله لأن السنة أيضاً تغيير نمو الشعر وشكله في وجه الرجل كما في حف الشارب والأخذ من اللحية أو حلق شعر الرأس وتقصيره في الحج وهو في القرءان.

اللعن مرتبط بالكذب في كتاب الله مثل "الخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين". لكن نتف الحاجب للتجميل مثل قص الأظافر وحلق شعر الجسد أيضاً والوجه للتجميل والنظافة وهي من الجمال. فليس المقصود إذن بالكذب مجرد تغيير شيء. فلابد أن يكون المقصود ما هو أكبر وأخطر حتى يرتبط به اللعن.

هذا تفسير: أي إنسان يقوم بتغيير في شكله ولا يريد الحفاظ عليه باستمرار بل فعله مرة لكي يخدع به شخصاً حتى يستحسنه ويرتبط به ثم هو يعلم من نفسه أنه لن يستمر على ذلك مما يؤدي إلى مشاكل لاحقة فهذا هو الملعون بكذبه في مثل هذه الأمور.

بمعنى: امرأة تغير من شكلها أو أي شيء من تصرفاتها فقط مؤقتاً حتى يتزوجها رجل، فتكذب بحال أو فعل أو قول، ثم بعد وقوع الارتباط ترجع إلى طبعها وتنكر ما جذبت به الرجل لها وجعلته يرضى بها. أو رجل يفعل نفس الفعل فيموه ولو في موضوع صغير مثل شعر الوجه فضلاً عن ما هو فوق ذلك فهذا مثل "لا تقل لهما أف" يعني ما فوق أف من باب أولى. فالمقصود إذن من حديث اللعن هو النهي عن الكذب والخداع الذي يؤدي إلى اختلال العلاقات واستقرارها في المجتمع. وهذا أمر مفهوم ومجرّب قبحه ومن وقع عليه مثله يعلم سبب كلمة "لعن الله" هنا.

جوهر الحديث إذن يتعلق بالصدق والاستقرار. وهذا في كتاب الله أصله. ثم أهل القرءان ينزلونه على عصرهم ومشاكله بحسب ظروفهم. وقس على ذلك.

قالت: هل الحديث مكذوب او ان تأويله مثل ما فهمناه وانتشر هو فهم ظاهري؟
قلت: معناه صحيح كما بينت.

...
(إنَّ وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين)

(إنَّ) للتأكيد بمعنى أني عرفت نفسي وأنه لا يوجد في الأكوان كلها ما يمكن أن يكفيها ولا يحبها ولا يعطيها من أجل تكميلها هي وليس لغرض أناني من المُعطي. لأن كل نفس تسعى لذاتها، وحتى حين تعطي غيرها فهي تريد تكميل ذاتها بصفة العطاء أو تحصيل نور وأجر آجل مقابل العطاء العاجل. فلما نظرت في نفسي ووجدتها فقيرة الذات طلبتُ غنياً بالذات مستغنٍ عن الأكوان.

فقلت (وليي) لأن النفس تكميلها يكون باتصالها بربها ومبدأ كمالاتها، فهي ناقصة بانفرادها مجبورة باتصالها، فنفس بلا ولي مثل أرض بلا ماء تبقى قاحلة.

لكن الولي لابد أن يكون سر النفس ومصدرها فقلت (الله) فالنفس لها سر إلهي ولولاه لما كانت عاقلة مريدة خالدة باقية قابلة للتخلق بالأسماء الحسنى ومستقبلة لكلمة الله العليا، ولذلك قال "نسوا الله فأنساهم أنفسهم" أي أنساهم أنفسهم ذات السر الإلهي وصاروا يرون أنفسهم مجرد أبدان ترابية ويقولون "أإذا ضللنا في الأرض أئنا لمبعوثون" فاعتبروا أنفسهم مجرد كائنات أرضية.

ثم طلبت الرابطة بيني وبين الله، الوسيلة التي ستجعلني متصلاً به اتصال تكميل ورفعة، لأني وجدت نفسي تتقلب ما بين الجهل والعلم والظلم والعدل والغفلة والذكر والنوم واليقظة وحيث أن الله ثابت فلابد أن يكون تغيّري راجع إلى نوعية الوسيلة بيني وبينه فقلت (الذي) وهو اسم موصول يدل على ظهور المسمى بصفة مخصوصة، فطلبت الوصل به عبر وسيلة تجعل صفة نفسي نورانية.

وهنا وصلت إلى فعله تعالى (نزَّل) لأن نفسي دون نفسه تعالى كما قال عيسى "تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك". فعرفت نفسي بالعبودية له والتبعية لنفسه جل وعلا.

فلما أقررت بأني تحت قهره وحيطته وقبلت خبره بالتصديق وأمره بالتسليم أنعم عليّ ب(الكتاب) الذي كلمني فيه بلساني ليبيّن لي وجمع لي فيه كمالات نفسي عقلاً وإرادةً بضرب الأمثال وتبيين الحقائق والحقوق والإحسان.

ثم لما قبلت الكتاب وأخذته بقوة فقرأته ودرسته صرت في حضرته على الدوام مجموع الهمّ عليه تعالى فقلت (و) الذي هو حرف الجمع.

فلما جمعت همّي فيه أخذني من وجودي المقيد إلى وجوده المطلق فكشف لي اسم (هو) المعبّر عن هوية نفسه المتعالية المتجلية التي هي أصل كل شيء وفرعه وعين كل شيء وسرّه والهوية السارية في الوجود والحدود.

ولما عرفته بالإطلاق فنيت نفسي في نفسه فلم يبقى فعل كما قال "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم"، فوجدت نفسي في عينه وبعنايته وصار هو الفاعل في صورتي فرأيت معنى (يتولى)، لما توليته باسمه الولي بقولي "وليي الله" تولاني بفعل ولايته الدائم ظاهراً وباطناً "يتولى". فصار كل ما يصيبني من خير أو شر لا يصيبني إلا بعدما يمرّ عبر منخل "يتولى" فإن كان ينفعني عاجلاً أم آجلاً وفي ذات نفسي أذن له بأن يصيبني وإلا دفعه عني وكفاني إياه.

وبذلك جعل نفسي من (الصالحين) لأنه المتولي شأني، فصارت نفسي تلومني على الغفلة ومخالفة الكتاب وتدفعني للإصلاح المستمر، فانضمت نفسي بحكم المناسبة إلى زمرة الصالحين من الأولين والآخرين فوجدت الأنس والصحبة النورانية عند الله. والحمد لله.

...

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
(مَن جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، وَمن خلّف غازياً في أهله بخير فقد غزا)

(غازياً): الجهاد ثلاث درجات: الأكبر جهاد النفس، الكبير جهاد الدعوة بالقرءان. الأصغر جهاد الحرب. كل مجاهد من الثلاثة فهو من الغزاة في سبيل الله. فمن غزا نفسه ومن غزا الجاهلين ومن غزا المعتدين كلهم غزاة.

(في سبيل الله): أن يكون قصده من غزوه كما قال النبي "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله". ففي غزو النفس تقاتل أفكارك الباطلة وأفعالك السيئة بكلمة الله الدالة على الحق والحسن. وفي غزو الجاهلين تقاتل بالكلام وبالحجج العقلية والقرءانية لإثبات صدق أخبار الله وكون أوامره هي الأنفع والأسلم والأقوم والأحق بالعمل بها. وفي غزو المعتدين تقاتل الذين يمنعون المتكلمين والداعين ويُكرهون الناس على الدين ويستعبدونهم ويقهرونهم من

الطاغين حتى تحررهم ليكونوا فقط عباد الله رب العالمين ثم يختاروا ما شاؤوا وحسابهم يوم الدين. فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا في نفسه بالاتباع الكامل وفي المخالفين بالاحتجاج القوي وفي الأقوام بالانتشار الحر فهو في سبيل الله.

الغازي لابد له كفاية ظاهرة وباطنة.
أما الظاهرة فقال فيها (مَن جهَّز)، ففي غزو النفس تجهيزه بتوفير كتاب الله له وتعليمه قراءته، وفي غزو الدعوة تجهيزه بالمال والأعوان ووسائل الحركة والالتقاء والنشر، وفي غزو الحرب بالرجال والمال، وفي الجميع بالدعاء لهم بظهر الغيب وتعزيزهم ببشارات النصر ورسالات الدعم وعدم تخذيلهم والتخذيل عنهم.
وأما الباطنة فقال فيها (ومَن خلَّف)، حتى لا ينشغل عقل الغازي بمشاغل منفصلة عن ذات غزوه إذ تفرّق الهمّ وتشتت البال يؤثر على عمله. في غزو النفس لابد من حسن رعاية الجسم وبيت الخلوة ومن هنا كان النبي يتزود قبل الاختلاء بحراء، وفي غزو الدعوة الأهل هم كلمات وكتب الداعي التي يبثها فلابد أن يوجد من يهتم بها من بعد إطلاقها حتى لا يتفرق ذهنه ما بين حفظ ما مضى واستقبال ما يأتي من مستجدات ومجادلات، وفي غزو الحرب الأهل العائلة فيهتمون بهم بالإنفاق والكفالة وحسن المعاملة ولو مات الغازي فيُعطى أهله مقاماً متميزاً من أجله ومن أجلهم هم الذين دفعوه للغزو ولم يمنعوه بحجة الاهتمام بهم فإذا عرف الغازي ذلك لم يبالي مطلقاً بالتضحية بنفسه في سبيل الحق ولم يجد الشيطان سبيلاً عليه من هذا الباب الخطر.

هذا الحديث بشرى للمعاون بأنه كالمُباشر العمل. الإنسان لابد له من جماعة حتى يعمل في هذا العالَم. "يد الله مع الجماعة". الغازي مركز الدائرة، لكن مَن جهزه وخلّفه بخير صار منه (فقد غزا) كما قال إبراهيم "فمن تبعني فأنه مني". الليل أساس الطبيعة والنور طارىء لابد له من وسيلة كالشمس والمصباح، كذلك الظلمة في النفوس أصل والنور من لدن الله "ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور" وهنا أساس الغزو، فكما أن النور يغزو الظلمة فكذلك الغازي بكلمة الله العليا يغزو نفسه وحجج خصمه وطغيان عدوه. حتى يكون لكل المسلمين والمسلمات نصيب مهما كانت أعذارهم، جعل النبي معاون الغازي من الغزاة. فانبسطت الرحمة واتسعت للقوي والضعيف فصار الكل قوياً في مجاله بقوة الله.

...
(من سورة الأعراف)

-١-

(المص) الله أرسل جبريل إلى النبي بالقرءان ذي الذكر. فمن اتبع الذكر انفتح له القرءان، ومن صار من أهل القرءان اتصلت روحه بالنبي، ومن اجتمع بالنبي تعلّم من جبريل، ومن عرج معه جبريل وصل إلى حضرة الله فعرف الواحد بالواحد.

(كتاب أنزلناه إليك) بعد المعرفة تدور الحياة حول مركز الكتاب المنزل، دراسة وتبليغاً.
(فلا يكن في صدرك حرج منه) لأنه أعلى من مستوى إدراك أكثر الناس فتشعر بالغربة وسطهم فتتحرج من الاستعلان به.
(لتُنذر به) القادم للناس أعلى مما يدركون الآن، فمن الرحمة بهم إنذارهم به. الكلام إن لم يكن فوق عقلك فلن يرتقي عقلك فاقبله واصعد إليه ولا تطلب كتباً تناسب درجتك الحالية بل ما فوقها.
(وذكرى للمؤمنين) الذين رأوا وعلموا علم قلب وذوق حقائق الأمور الغيبية سينتفعون بالكتاب الذي سيذكرهم بها على الدوام لأنهم في الدنيا وتحيط بهم أسباب الغفلة.
إذن، كتبك تنفع غيرك فلا تتحرج منها بسبب المُنكرين لها لأنه يوجد المتقبلين لها أيضاً ولو قلّوا ولو نظرياً ولو مستقبلاً.

(اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم) ما مضى أمر للرسول بتبليغ الكتاب، هذه الآية أمر للناس الذين أعطاهم الرسول الكتاب. فجاء الأمر مباشرة في الخطاب لهم ليكون بشرى لهم بأنهم سينالهم نصيب من رفعة مقام التكليم الإلهي إن قبلوا الكتاب من الرسول. "ما أنزل إليكم" يعني من فهم الكتاب، للكتاب كلام وأفهام، كلامه ثابت الصورة وفهمه متجدد ومتنوع ومتدرج ودائم النزول من الحي القيوم على العقول. "من ربكم" فالكتاب وسيلة لتفهيم ربك لك وتوصيل وحيه لك وأنت لا تزال في الدرجة الدنيا المحتاجة إلى وسيلة الرسول. ما يُفهمك إياه في كتابه فهو إنزال حي منه إليك، وعليك اتباعه.
(ولا تتبعوا من دونه أولياء) نهي عن تقديم فهم غيرك في الكتاب على فهمك إن كان ما جاءك من تفهيم ربك لك وليس من الهوى والتحريف الشخصي. فهمك مقدم على فهم الأولياء، فضلاً عن غيرهم، لأنه من ربك الذي يربيك على ما يلائمك، بينما الولي قد ينطق بما يناسبه هو ويكون سبباً لضررك الآن إن قبلته لأنك غير مستعد بعد لقبوله كالطفل يأكل طعام الكبار أو

جديد الاستيقاظ يخرج فوراً ويفتح عينه جبراً لشمس الظهيرة فتحرق عينه بدلاً من التدرج في الرؤية.
(قليلاً ما تذكّرون) دراسة الكتاب ذكر، والذكر نعيم النفس، فاستكثر منه. أكثر النفوس حبيسة الحواس وأشغال الدنيا فلا تذكر إلا قليلاً، فاضبط مشاغلك المعيشية وراحتك ولهوك حتى تفتح مجالاً لكتاب ربك. الذين يتبعون الأولياء بدلاً من فهمهم هم لكتاب الله سيكون ذكرهم قليل وانتفاعهم قليل، فلا تكن من هؤلاء إذا أردت الخير لنفسك.

-٢-

(وكم من قريةٍ أهلكناها) الكتاب جاء لكل أبعاد الفرد في ذاته وفي مجتمعه. فأنت قرية لأن فيك جوانب كثيرة كالإرادة والفكر والشعور والخيال والحس والمال وكل واحد منها لكتاب ربك فيه كلام عليك اتباعه إن أردت السلامة والقوة. والناس كأمة أيضاً يخاطبهم الكتاب ولابد من إقامة الكتاب على مستوى الجماعة كما على مستوى الفرد. للكتاب فيض للفرد وفيض للأمة، لا يغني أحدهما عن الآخر شيئاً. قد تعدل كفرد لكن تصيبك فتنة عامة وإن لم تظلم لكن ظلم غيرك في قومك، الذين عقروا الناقة قلة لكن الهلاك كان عاماً، الذين صنعوا قرار الحرب العالمية الثانية قلة من اليابانيين لكن النووي أصاب حتى من لم يشارك مباشرة بل تواجد هناك ورضي بمقامه فيهم، الهلاك لا يأتي على الأفراد بل على الأمة ككل، فالكل ينبغي عليه استشعار المسؤولية الجماعية والعمل على هذا الأساس. الكتاب للفرد كأصل وللجماعة كفرع، مَن قطع أحدهما كفر ببعض الكتاب قطعاً.
(فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) ترك الكتاب سبب وسيكون له أثر حتمي يقع ولو لم تشعر به وتغافلت عنه. في العالَم سنن من أسباب وآثار، عمل وجزاء، فعل وردة فعل. إذا أطلقت العمل سيقع الجزاء، فانظر ماذا تعمل وحاكم عملك الفردي والجماعي إلى كتاب الله حتى تنام مطمئناً لدخولك تحت مظلة "لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا".

(فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا) بعد وقوع الأثر المترتب على عملهم المخالف لكتاب الله.
(إلا أن قالوا) لم يعد هناك مجال لتغيير الفعل، فاقتصروا على القول. فالقول فوق الأحداث دائماً.
(إنا كنّا ظالمين) بدلاً من انتظار الآثار لاكتشاف وتذكر ظلمك، حاكم نفسك الآن على كتاب الله وضع عقلك وإرادتك في ميزانه المقسط. بما أن الأصل أن تتبع ما فهمك إياه ربك في كتابك، وستوجد اختلافات بين الناس في الفهوم وقد يحصل تحريف، فلابد من فتح مجال الكلام في

الكتاب مطلقاً في الأمة حتى يكون للناس فرصة رؤية القول الأحسن فيتبعونه وإلا فقد يشيع رأي ظالم مظلم بفضل جبر الأقوياء والأغنياء فتهلك الأمة بسببه وتندم حين لا ينفع الندم.

-٣-

(فلنسئلن الذين أُرسلَ إليهم) هل جاءك كتابي؟ هل درسته؟ هل عملت به؟ هل بيّنته للناس؟
(ولنسئلن المُرسلين) هل بلغتم؟ هل جاهدتم مَن منعكم من التبليغ؟ هل رفعتم الإكراه عن المستضعفين في الأرض؟ هل نصرتم الذين يُقاتَلون من أجل الدين؟

(فلنقصن عليهم بعلم) بما يطابق واقعهم.
(وما كنا غائبين) فالعلم ما كان عن حضور وشهود. فالسؤال لتقرير المسؤول على نفسه وغيره وليس جهلاً بواقع الأمر. فالله لم يترك العالَم لكنه يُمهل الناس حتى يأتي أجلهم. بالتالي مسؤولية تغيير العالَم بكتاب الله واقعة على عاتق الناس، وكل مَن تعاجز وتكاسل بحجة إحالة أمر التغيير على فعل الله وقدره فهو كافر وجاهل. كفر حكمة الله باستخلافنا، وجهل أمر الله في كتابه وحسابه. العمل علينا وليس على الله، فإذا عملنا نصرنا الله وأيدنا، لكن عملنا هو المقدم والأساس "إن تنصروا الله ينصركم" تنصروا أنتم أولاً. "فاذكروني أذكركم" تذكروا أنتم أولاً. كتاب الله للعمّال لا للجبرية الكفرة "إني عامل". الجبرية لا يدرسون كتاب الله بحجة عجزهم، وإن علموا من آياته شيئاً لم يعملوا به بحجة عجزهم وحال الزمان وقدر الله، وإن عملوا كأفراد في خاصة أنفسهم أهملوا أمر العامة والأمة بحجة عدم مسؤوليتهم وعجزهم عن التغيير والتأثير. لذلك عاقبتهم جهنم التي سيكونون فيها فعلاً عجزة "كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أُعيدوا فيها"، فجازاهم على تعاجزهم الكاذب بعجز صادق، وعاقبهم على إنكار إرادتهم الحرة وتحقيقها في الواقع وتفعيلها في العالَم بسلبهم قوة تحقيق إرادتهم حقاً "جزاءً وِفاقا". سؤال الله المُرسَل إليهم والمرسلين دليل حرية الكل لأنه بدون حرية لا مسؤولية. كتاب الله للأحرار لا الكفار. لذلك شرع القتال لرفع الإكراه عن هذه الإرادة الحرة، "قاتلوهم حتى لا تكون فتنة" يعني تعذيب لترك الدين "ويكون الدين لله" لا للذين يعذبون الناس ليتبعوا دينهم ويخضعوا قهراً لأمرهم. قدسية الحرية جعل قتل المُكرهين شريعة إلهية.
-٤-

(والوزن يومئذ الحق) ما دل عليه كتاب الله هو الحق، فمن آمن بأخباره وعمل بأوامره فهو على الحق، وإلا فهو على باطل من الفكر وظلم من العمل.

(فمن ثقلت ثقُلت موازينه) لكل آية من الكتاب ثقل، لأن كل آية لابد أن تكون مشتملة إما على حقيقة وجودية تُعقَل مثل "الله الصمد"، وإما على حقوق إيجادية تُعمَل مثل "إذا قلتم فاعدلوا". للحقيقة ثقل وللحقوق ثقل، فمن آمن بالحقيقة وعمل بالحقوق فقد كسب الحق وصار في كفة ميزانه. للميزان كفتان، إيمانك وعملك في كفة، فما هو الشيء الذي يُقاس به وزن كفّتك؟ هو "الحق". فكيف تعرف الحق؟ بالرسالة. أين الرسالة؟ في كتاب الله. فحاسب نفسك بعرض عقلك وعملك على كتابه الآن قبل أن تُعرَض عليه غداً.
(فأولئك هم المفلحون) الذين زرعوا الحق اليوم فحصدوا الجنة غداً. فكل آية فيها بذور الجنة، وقلبك بعقله وإرادته محل زراعتها، والحصاد اليوم بالنفس وحال الأمة وغداً بالتكوين الظاهر في الجنة.

(ومن خفّت موازينه) يؤمن بغير ما في كتاب الله مما لا علم له به، ويعمل بغير ما في كتاب الله مما لا خير فيه أو شره أعظم من خيره.
(فأولئك الذين خسروا أنفسهم) وإن ربحوا أبدانهم لفترة مؤقتة باتباع أهوائهم والاغترار بالتقلب في البلاد قليلاً في الدنيا، لكن النفس الخالدة قد خسروها لماذا؟
(بما كانوا بآياتنا يظلمون) ظلم الآية جحد علمها وترك عملها. من الناس من يظلم الآية بادعاء أنه يتبع السنة أو العقيدة الصحيحة أو المذهب الحق، هؤلاء أظلم الظالمين لأنهم حرموا أنفسهم حتى فرصة تعلم كتاب الله بزعمهم أن عقيدتهم ومذهبهم قد كفاهم مؤونة معرفة ما في كتاب الله. كل بُعد عن اتصالك المباشر بالآيات هو ظلم بل ظلمات.

-٥-

(ولقد مكّناكم في الأرض) رد لزعم الجبرية والمتعاجزين والمتخاذلين عن تفعيل كتاب الله في الأرض على أمل انتظار تمكين خرافي مستقبلي. التمكين حاصل وهو ماضي "مكناكم" وانتهى الأمر. فأنت الآن واقعياً حر فعال، وابتلاؤك بحسب ما آتاك وسعتك. فتركنا الله في الأرض لنعمل.
(وجعلنا لكم فيها معايش) معايش الجسم وسيلة للتفرغ لدراسة كتاب الله، تستعملها لنفسك وتنفق منها ليتفرغ غيرك. التمكين والمعايش وسيلة لتحصيل منافع النفس الخالدة، بالعلم والعمل بالكتاب. لذلك لابد من حفظ التمكين الأصلي بتمكين النظام الاجتماعي السياسي كما قال عن يوسف بعد عزته "مكنا له في الأرض" وكان ذلك بفضل انتسابه لنظام جماعي وليس كفرد منفرد، وكذلك قال "ليستخلفنكم في الأرض..ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم..ليبدلنهم بعد خوفهم أمنا..يعبدونني لا يشركون بي شيئا" فهذا كله تمكين فوق تمكين، والتمكين الجماعي مبني على الإيمان والعمل بالتالي لا يقال بأن التمكين شرط للإيمان والعمل بل الحق أنه ثمرة من ثمراته. الاستقرار في مجتمع تبيّن فيه دينك وتأمن فيه على نفسك الظاهرة بالكتاب الإلهي وتكون حراً في عبادة ربك دون الإكراه على شرك عبادة إله من دونه ولا فرعون ولا طاغوت فهذا هو التمكين الثاني حيث تدعو الناس إلى العمل بكتاب الله ويكون الدين لله حقاً ثم الناس وما اختاروا لأنفسهم ومصيرهم بيدهم دنيا وآخرة.
(قليلاً ما تشكرون) شكر التمكين والمعايش باستعمالهما لنفع نفسك ذات الفطرة الإلهية والنظر لآخرتك وقراءة كتاب ربك وتفعيله. فالمعيشة للدين وليس الدين للمعيشة، التمكين للكتاب وليس الكتاب للتمكين كما يظن المُنتَكسين.

...

لا تقل "يا رب أعطني كذا من أجل أن أعمل كذا". لأنه تعالى قال "ليبلوكم في ما آتاكم"، فما يريد منك عمله يتناسب مع ما آتاك إياه، وما آتاك إياه حاضر لديك الآن وباستطاعتك العمل به، فالعمل دائماً بالحاضر ولا تُعلّق عملك على الأمل المستقبلي ولا تتقيّد بشيء من الماضي فإن ما مضى قد انتهى ولا يدخل تحت "ما آتاكم" كما لا يدخل ما لم يؤتيك إياه بعد.

...

ثلاثة من أهل المحبة والتصوف أسكتوني مع الأدب الجمّ ومع ذلك أسكتهم الله ونزلت بهم عقوبة عاجلة غفر الله للجميع. وهذا في جدّة. وقد ظُلموا جميعاً شرعاً ولكني أتكلّم من باب القدر لا من باب الشرع والحق فلعنة الله على ظالمهم وهي الدولة الفرعونية.

أمّا الأول، فشيخ معروف مشهور يمني الجنسية لكنه يعيش في جدّة وهو من قراء القرءآن، له جماعة شباب يحضرون عنده بانتظام في مركزه. ذهبت يوماً مع صاحب لي للقائه، فزرناه وأجلسني بجانبه وتلاميذه جلوس منهم على الأرض أمامنا ومنهم على الكراسي حولنا، واستقبلني بالبشر وأحسن استقبال ومع الإجلال عن محبّة مع أني أصغر منه سنّاً بأكثر من عشر سنين. طلب منّي الكلام في أي موضوع أحبّه، ونظروا إليّ كلّهم بإنصات. فعَقَد الله لساني وفرّغ ذهني ولم أجد كلمة أنطق بها، وهم ينظرون إليّ ينتظرون كلمة ولم أستطع لكنّي كنت أتبسّم في وجوههم وفعلاً شعرت حينها كأني سُلبت قدرة الكلام. ولم أعرف سرّ ذلك. بعد انتظار دقائق من الصمت على هذا الحال بدأ بالكلام وأمضينا الليلة عنده وتحادثت معه بعد ذلك وكاشفته بأمور وأقرّني عليها وأظهر إقراره بالقول والفعل والحال. انتهى هذا اليوم. بعدها بفترة حضرت عنده مجلساً أكبر لعل فيه نحو مائة شخص، خلافاً للمجلس الأول الذي كان

للخواص من أصحابه فقط فهذا كان يجمع الخاص والعام. وكنت جالساً على الأرض في آخر المجلس تقريباً. كان مع الشيخ ضيف جاء يتكلّم في موضوع، فقال كلاماً شعرت أنا ومَن حولي بأن فيه انتقاصاً من عظمة النبي، فلم أتحمّل السكوت على ذلك فلمّا جاء دور الأسئلة والتعليقات طلبت الميكروفون وتكلّمت وانتقدت كلام ذاك المنتقص بأدب لكن معه شيء من الحدّة في النقد لكن بدون التعرّض للشخص ذاته إلا أنه كان نقداً قوياً لكلامه ومباشراً، فلمّا كنت أثناء حديثي وبمجرّد ما فرغت من جملة ولم أكمل كل حديثي بعد طلب الشيخ أخذ الميكروفون منّي بأدب ولكن بدا أنه قصد قطع نقدي فطلبه سياسة لتوحيد الحاضرين. سلّمته وقمت بعدها وجاءني ابن أحد مشهوري المؤذنين في مسجد حيّنا الكبير في جدّة وعانقني وشكرني على ما قلته. إلى هنا انتهى الأمر ومرّت بضع سنين، ثم تغيّرت الدولة وقبضوا على هذا الشيخ وسجنوه ولا أدري إن كانوا رحّلوه أم لا لكن ما علمته من بعض تلاميذه بعد ذلك أنهم أغلقوا مركزه ذاك. لما حصل ذلك عرفت لماذا عقد الله لساني في المجلس الأول، فقد كانت رسالة له هو أن يعقد لسانه في هذ البلد ولو فعل حينها لما حصل له ما حصل على الأغلب إن لم يكن على القطع. لكنه قاطع كلامي فقطع الله كلامه.

أما الثاني، فقابلت امرأة سورية في البحر وتحدّثنا في الدين والتصوف وابن عربي وهي من الشام فعرّفتني بزوجها الذي كان من المؤمنين بالشيخ ابن عربي وكاشفته بأمور وعرف أني أكتب فطلب منّي بعض كتبي ليقرأها فاخترت له بعضها مما أستطيع نشره مع شيء من المخاطرة البسيطة لكني وثقت به، إلا أنه لم يقرأها بالرغم من أنّي من عمر أولاده لكنه أرسلها لشيخه السوري الذي يدرّس ويخطب منذ أكثر من عشر سنوات في مسجد كبير ومهم في جدة ويدرّس فيه تفسير القرءان أحياناً وحضرت عنده في ليلة قبل أن أعرف أنه شيخ هذا الرجل ولما استمعت له سلّمت عليه بعدها مع صاحبي الذي أخذني تلك الليلة وقبّلت يده إجلالاً للقرءان الذي درّسه ولم نتكلّم، المهم أعطاه الرجل كتبي فقرأها وقال له النتيجة وهي أنني شخص خطير ولا ينبغي له قراءة كتبي بل والابتعاد عنّي، وقد قابلت الشيخ قبلها مع الرجل على ميعاد في مسجد من المساجد فسلّمنا على بعض وعلى أساس أن نجلس ونتحادث لكنه لمّا رآني وجد شاباً لعله من عمر أحفاده أو صغار أولاده إذ كنت في منتصف العشريات حينها فبدا عليه الاستغراب أن تلك الكتب خرجت من مثلي فقد قال لتلميذه بأن الكتب تظهر شخصاً مطلعاً ونحو ذلك، لكنه رفض بعد ذلك. وقد عرفت أنا سبب ذلك وهي أني أرسلت له كتاب بسط فصوص الحكم وفي هذا أوّلاً انتقاد لي لمال البترول الذي يغذّي الوهابية في فقرة من المقدّمة في سطر وفيه نقده لابن تيمية مما يعني كسب عداوة الدولة والكهنوت هناك، وثانياً

هذا الشيخ يتبع محمود الغراب الذي ينكر نسبة فصوص الحكم لابن عربي، ولعل الأول كان السبب الكافي لاعتباري خطراً، و"الطاعة الشامية" لولاة الأمر معروفة منذ قديم الزمان، فأنكرني لأنه أراد حماية وظيفته في المسجد وبقائه في البلد. النتيجة؟ بعدها بفترة أخبرني نفس تلميذه هذا حين لقيته في البحر بأنهم جرّدا الشيخ من وظيفته وخرج من البلد. أنكرني سياسةً فسلّط الله عليه السياسة. لا أقول ذلك شماتة والعياذ بالله، بل أنا ألعن مَن ظلمه هذا الظلم، لكن أبيّن بأنه في مواقف معينة مَن عمل فيها بالسياسة عاجله الله بالعقوبة، أقول ذلك ليحذر الذين يظنون أنهم أذكياء يحسنون الحذر ويُهلكون أنفسهم وهم لا يشعرون.

أما الثالث، فأستاذ من الفقهاء والصوفية حضرت في بيته مجلساً وهو يعرفني وبيننا إخوة ومحبة واحترامي له كبير وهو الذي بشّرني بالهجرة وأخبرني قبل سنة بما سيحدث بعد سنة وقد حصل بالضبط بعد سنة فتحاً من الله على لسانه وكذلك دلّني على اختيار أمريكا بدلاً من المكسيك لأنه في أمريكا "الحرية الفكرية والحماية الفكرية" معاً ولا تكفي الحرية الفكرية فقط وأخبرني غير ذلك مما ينفع الله به برحمته. حضرت عنده في مجلس حضره نحو خمسة أشخاص أنا أصغرهم سناً، وكلهم من أهل الشام إلا واحد أحسبه من الحجازيين ذوي الأصول اليمنية، فحضر شيخ الأستاذ وهو شيخ وأستاذ جامعي ومؤلف في علم الحديث النبوي وهو شامي الأصل أيضاً وأنا أعرف ولده وقد حكيت عنه قصّة من قبل ذكرتها في بعض كتبي. لمّا حضر الشيخ صمت الكل وصار الشيخ يلقي ما يشبه المحاضرة من طرف واحد والكل سكوت، وهذه ليست طريقتي في المجلس ولا أراها مؤدبة تحترم نفوس الناس، نعم ليتكلّم مُقدَّم المجلس لكن لابد من فتح المجالس للحوار فنحن لسنا في محاضرة جامعية ولم آت لأسمع تسجيلاً صوتياً لشخص، فناقشت الشيخ في نقاط وأبدى اهتماماً بالاستماع وناقشني بلطف من وجه لكن لما ذكرت شيئاً لا أذكره الآن على التفصيل قال بشكل عام ولم يوجه الخطاب لي "أنا لا أسمح بذلك" يقصد في مجلسه، والأستاذ صاحب البيت يشير إليّ بالسكوت وعدم مقاطعة الشيخ وإن لم تكن مقاطعة بل كان يتم الفكرة ثم يترك فيها فراغاً يجعلها غير معقولة لي فأسأله وأحاوره، لكن المجلس كان على طريقة لا أرتضيها وهي أن يكون الكل صم بكم وأكاد أجزم بأنهم لم يفهموا ما لم أفهمه أنا ويبدو أنهم اعتبروا نفس الحضور بركة والسلام. فالشيخ قال "لا أسمح" والأستاذ أشار إليّ بالسكوت. النتيجة؟ الشيخ لم يُسمَح له حتى بتدريس كتاب موطأ مالك بن أنس في بيته وانقطع مجلسه في بيته، والأستاذ أيضاً اشتكى من ذلك وهو الذي أخبرني بأنهم من الخوف من الدولة صاروا لا يتحدّثون حتى في موطأ مالك.

مرّة أخرى، هذه ليست شماتة لكنها بيان لأصل مهم. التصنّم على أمور في ذهنك بدون مراعاة مَن يحضر أمامك وعندك قد تفسد حالك وأنت لا تشعر. ارتقب أولياء الله في كل لحظة وفي كل شخص تقابله، لا تدري لعلك تصادف أحدهم وأنت لا تشعر. غيّر من عملك وطريقتك وكن منفتحاً على ذلك في كل يوم، ولا تقل قد فرغت من كل وجه، اترك دائماً باباً مفتوحاً للتغيير فإنك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً يوجب تغييراً.

الأول راعى سياسة التربية فلم تراعه سياسة التربية العظمى على يد الدولة. الثاني راعى سياسة المؤسسة الدينية والدولة فلم تراعه سياستهما. الثالث راعى سياسة المشيخة فلم تراعه سياسة المشيخة العظمى. الثلاثة قطعوا كلامي، والثلاثة قُطع كلامهم بل وما هو فوق ذلك. كنّا في مجالس خاصة وفي حال الثقة، فلم يكن لهم أن يتعاملوا معي على أساس النظر إلى أي شيء غير ذاتي وحال الحرية المبني على الثقة، لكنهم لم يفعلوا ذلك وبعضهم راعى مخططه والثاني حفظ مصلحته والثالث أدب مشيخته والكل باطل في باطل. أي جماعة تقوم على غير النقد الحر للفكر فليست من الحق تعالى في شيء، هذا خطأ الأول. أي شخص ينكر المؤمنين حفاظاً على مصلحة الدنيا ولو في الستر والكهف فقد غلا في تطبيق مبدأ التقية، هذا خطأ الثاني. أي مجلس يقوم على طاغية يُلقي وبهيم مُستلقي فهو مجلس مجرمين، هذا خطأ الثالث. كان ينبغي على الأول فتح باب النقد كنوح في جدله في أسوأ حال، وعلى الثاني التعامل في السرّ كأصحاب الكهف في تسترّهم مع ثقتهم ببعضهم البعض، وعلى الثالث جعل المجلس حوارياً ولو بعد فترة بسيطة يكون فيها إلقائياً كمقدمة موضوع لفتح باب الحوار خصوصاً أن عددنا كان قليلاً بل ولم يكن يحاور غيري، بل كان هذا سينفع الحاضرين ويثوّر عقل الشيخ لإخراج عمق ما فيه، فإني لم أكن أجادله بل أحاوره في ما يقوله وأحياناً بتعزيز ما يقوله مع بيان ثغراته الموجودة في عقول الكثير من الناس ممن كان ينتقدهم هو حتى يسدّها لكنهم لم يفعلوا وإن كان الشيخ قد مدحني عند الأستاذ بعد ذلك كما أخبرني الأستاذ نفسه. نقد حر وعمل في ستر وحوار يغذي الفكر، هذه الأصول الثلاثة لمّا كسروها بعدما ظهرت أنا بها كسرهم الله. فالحذر الحذر يا أهل الذكر والفكر.

...

في استفتاح القرءان: قد يُفتح لك بالمقصد وقد يُفتح لك بالعمل. أي مرّة يُفتح لك بمقصد ينبغي عليك مراعاته ثم حدد أنت بعقلك ما الذي ينبغي عليك عمله، وهذا أشرف من حيث الخلافة. ومرّة يُفتح لك في نفس مسألتك بما ينبغي عليك عمله أو تركه، وهذا أشرف من حيث العبودية.

وقد يُفتح لك بالمقصد والعمل معاً حتى ينير عقلك بالمقصد وإرادتك بالعمل، وهو الأشرف من حيث تمام الإنسانية.

...

يجري على وارث النبي ما جرى على النبي، جوهرياً وإن اختلفت المظاهر والتفاصيل ودرجة الابتلاء.

...

كل كتاب الله صالح للعمل، لا نسخ فيه. وما يُدعى فيه النسخ فليس نسخاً.

١-مثال: {يأيها النبي حرّض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون. الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين.}

الكلام هنا خبر وليس أمراً، والنسخ لا يدخل على الأخبار وإلا فهو كذب. فقوله {إن يكن منكم..يغلبوا} خبر عن واقع وجودي. فالآية لا تأمر المؤمنين بأن يصبروا بحسب عددهم، لكنها تخبرهم عن أمر محقق.

سبب الغلبة في الآية الأولى هو {بأنهم قوم لا يفقهون}، لكن سبب التخفيف في الآية الثانية هو {علم أن فيكم ضعفاً} فاختلفت جهة الكلام. بالمعنى، أنه إن لم يكن فيكم الضعف فعشرين يغلبوا مائتين من الذين لا يفقهون. لكن إن كان فيكم الضعف، فمائة يغلبوا مائتين. فالآية الأولى عن حالة مختلفة من جهة عن الآية الثانية. الآية الأولى تفترض القوّة، والآية الثانية تفترض الضعف. فالسؤال: هل القوّة والضعف هنا هما من الأمور الراجعة إلى قدر الله أم إلى جهد المؤمنين؟ الحق أنها إلى جهد المؤمنين، والضعف المقصود هنا أمر سيء أو خلاف الأولى. هذا مثل "إن الإنسان خُلق هلوعاً. إذا مسّه الشر جزوعاً. وإذا مسّه الخير منوعاً. إلا المصلّين"، فالأصل في الإنسان أن يكون هلوعاً جزوعاً منوعاً كما أن الأصل في الإنسان أنه خُلق من ضعف وبدأ ضعيفاً ويميل إلى الاعتبارات الظاهرية، لكن الاستثناء ممكن وواقع وهو أن يعمل بالصلاة ويتحقق بالصفات التي ذكرها الله فينتهي هلعه وجزعه ومنعه وضعفه. الآية الأولى تحدّثت عن الإنسان الاستثنائي، الآية الثانية تحدّثت عن الإنسان الأصلي. أي الأولى عن الإنسان كما يمكن أن يكون، والثانية عنه كما هو كائن الآن. فلا تناقض بينهما يستدعي نسخاً للأول بالثاني. بل يدور الأمر مع العلّة.

العلّة للغلبة هي الإيمان والصبر من طرف المؤمنين، هذا في الحالتين. ثم إن كان القتال بين المؤمنين أنفسهم، فتنضاف علّة أخرى هي القيام بالحق وأن لا تكون فئة باغية، أي العدل. وفي طرف المُقاتَلين، إن كانوا من غير المؤمنين فأن يكونوا من "الذين كفروا" وهم القوم الذين "لا يفقهون". وإن كانوا من المؤمنين فأن يكونوا من الباغين، "فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله". فمن كان فيه الإيمان والصبر واتباع أمر الله، كان نصر الله معه. هذا الأصل.

ثم يأتي الفرع وهو قضيّة القوة والضعف. فما هو الضعف؟ الضعف هو الإعجاب بالكثرة. لاحظ أن الآية الأولى ذكرت عدد المؤمنين بالعشرات والمئات، {إن يكن منكم عشرون..وإن يكن منكم مائة}، لكن الآية الثانية ذكرت عدد المؤمنين بالمئات والألوف، {إن يكن منكم مائة..وإن يكن منكم ألف}. الإنسان في أصله ينظر إلى الكمّية أكثر من الكيفية، وكلما ازداد عنده العدد من الشيء اعتبر أنه ازداد وجوداً وقدرة وسعة. ومن هذا الأصل تجد الناس يلهيهم التكاثر ويتكاثرون في الأموال والأولاد ويميلون مع الأكثرية ويحتقرون الأقلية، وقال صاحب الجنّتين " أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفرا"، وقس على ذلك. الميل للكثرة شأن أصلي في الإنسان. من هنا أنزل الله ألوف من الملائكة ثم قال "ما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله"، فكشف عن أنه في هؤلاء المؤمنين مَن يميل إلى الكثرة والخلق، ولا يكفيه الواحد الأحد والحق. الإنسان مخلوق فميله إلى الخليقة مفهوم بالأصل، بينما الله حق وهو فوقه ومتعالي عنه لذلك فُهم إعراض الناس عن الله تعالى ووعده ونصره مع الركون إلى شكل الأسباب الظاهرة. كل شيء يميل إلى جنسه ويحب شبهه، فالمخلوق يميل للمخلوق ولا يميل إلا بصعوبة وجهاد بالغ إلى الخالق ومن هنا اعتبر الله الحنيفية أمراً عظيماً لأنها الميل من المخلوق إلى الخالق، كذلك نفهم سبب اشمئزاز البعض من ذكر الله وحده لكن إذا ذُكر "الذين من دونه إذا هم يستبشرون" لاحظ الكثرة في "الذين" وكونهم عباد أمثالهم في "من دونه". إذن ميل الإنسان للكثرة مبني على ضعفه الأصلي، "إن الإنسان لفي خسر". وأما خروجه عن حكم الكثرة واكتفائه بالوحدة وسعيه ليكون استثنائياً ولبلوغ فطرته الأعلى من طبيعته فهذه هي القوة "إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

يعزز ما سبق ما جاء في السورة التي بعد هذه مباشرة، فهذه الآية من سورة الأنفال أقصد الآية محل النظر في أواخرها، ثم بعدها سورة التوبة وفي أوائلها نجد آية "ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئاً". فالميل للكثرة ضعف، والإعجاب بالكثرة سبب للخذلان، وبينهما فرق، فإن المائل للكثرة يعتمد على نصر الله وإن أراد قلبه الاطمئنان بالكثرة، لكن

المعجب بالكثرة ينسب النصر إلى الكثرة وينسى الله فيتركه الله لما تعلّق به من سبب ليرى ويتبيّن له أن كثرته لن تغني عنه شيئاً فيتوب إلى الله لذلك قال "ثم أنزل الله سكينته" فذكر " ثم" التي للتراخي أي تركهم الله فترة منهزمين ليشعروا بأن كثرتهم لم تغنِ عنهم شيئاً فلا يعودوا إلى الإعجاب بها وينسوا الله وأن النصر من عنده وحده سبحانه.

فإن قلت: فماذا عن امتنان الله على عباده بنعمة "إذ كنتم قليلاً فكثّركم" أليس فيه تعظيم للكثرة؟ أقول: نعم ولا وبين نعم ولا يمتاز المؤمن من الفاسق والمنافق من المتوكّل. نعم، "فكثّركم" فيه أن الكثرة خير من القلّة. لا، لأن التكثير هنا كيفي وكمّي لا كمّي بحت، إذ كثّرهم الله بالمؤمنين بالله وأنصار الله وملائكة الله كما قال "حسبك الله ومَن اتبعك من المؤمنين" و "هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم" فهؤلاء المؤمنين الذي كثّر الله بهم هم أهل الله ومنزل فعل الله وتعلّق بأسباب السماء لا بالأرض، كذلك كثّرهم بالملائكة "يأتوكم" و "يمدكم" ثم ذكر ألوف الملائكة. وما فوق هذا وذاك أن الله هو الذي كثّرهم، "فكثّركم" فالله هو الذي كثّركم كما قال " إني معكم" وقال "إن الله معنا"، ومَن كان الله معه فهو الكثير حقاً الكثرة النافعة، فإن الكثير من الاثنين فما فوق، فكل فرد معه الله فهو كثير بالله، ومَن كثّره الله لم يقلله شيء.

الحاصل: التكثير بالله من القوة. والتكثير بالكمّية البشرية من الضعف. وعلى هذا الأساس جاءت الآية الأولى تعبّر عن الأولى والأعلى، والآية الثانية تعبّر عن الأدنى. فقد قال الله عن المؤمنين "منكم مَن يريد الدنيا ومنكم مَن يريد الآخرة"، فجاءت الأحكام على درجتين حتى يأخذ أهل الدنيا حظهم وأهل الآخرة العليا حظّهم. وأما إن كان العمل للجماعة ككل، فإن الميل لأضعف مَن فيهم هو الحق بحسب كثرتهم، كما قال النبي في تخفيف الصلاة بسبب وجود الضعف والعاجز وذا الحاجة ونحو ذلك من ضعاف الناس الذين لا يحتملون التطويل والتثقيل. الشريعة العامّة لابد أن تراعي في أحكامها العامّة المتعلّقة بالعامّة حال العامّة، مع ترك باب للخاصّة في ما يخصّهم. هذا هو الأصل، والاستثناءات قليلة فيه. هذا لا يعني مراعاة العامّة الذين هم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً، فيتم تبرير القمع والطغيان وكل مذمة في الدين والروح والعقل بحجّة أن هذا من مراعاة العامّة. بل يعني في بعض الأمور مثل الحرب ونحو ذلك مما يتوجّه عمله على العامّة. فالآية هنا قبل التخفيف وبعده ذكرت أهل الإيمان والصبر واتباع النبي وأمر الله، وهذه كلّها صفات الخاصّة بالنسبة لعموم البشرية. عامّة المؤمنين ليسوا كعامّة البشر. عامّة المؤمنين هم خاصّة البشر، وإن كان فوقهم خاصّة المؤمنين كما قال داود وسليمان

"الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين". من جرائم أئمة النار في هذه الأمّة أنهم أوجبوا بل جعلوا عامّة المسلمين مثل عامّة الكافرين والمجرمين والفاسقين والجاهلين. وليس هذا من كتاب الله في شيء، لا هذه الآية ولا غيرها.

٢-مثال آخر على النسخ المزعوم.
{يـأيها الذين ءامنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم. ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون.}

الآية الأولى جعلت علّة الحكم {ذلك خير لكم وأطهر}. فتقديم الصدقة بين يدي نجوى الرسول هو من حيث الخبر والواقع {خير لكم وأطهر} وهذا خبر فلا يدخله النسخ، فتقديم الصدقة بين يدي النجوى لم يصبح شرّ لهم وأنجس، بل لا يزال الأمر الآن كذلك {خير لكم وأطهر}. ومن هنا تقديم الصدقة قبل مناجاة وزيارة أهل الله وأصحاب القرءان ومجالس العلم والشورى، فهذا خير للناس وأطهر وقد عملت على هذا الأساس فوجدته كذلك. أقول عملت ولا أقول جرّبته لأن التجربة عند مَن لا إيمان عنده بالأمر ويريد رؤية ما سيقع بينما بنيت أنا على هذه الآية وفعلت ذلك وفتح الله لي على يد شيخ زرته علماً من الغيب مَن لم يشهده لعله لا يصدّقه وقد شهدته فوجدته حقاً بحمد الله. لا يزال الأمر خير وأطهر. والصدقة هنا ليست للرسول فإن الرسول لا يأكل الصدقة ولا يسأل أجراً ومالاً على كلامه من حيث هو رسول وقد سمّاه الله هنا رسولاً، بل هي للمساكين ونحوهم. هذا حكم مبني أيضاً على القوة، على الإيمان بالله ومستوى التجريد والعلو. وهو للمؤمن القوي الذي هو خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. لكن المؤمن الضعيف مؤمن أيضاً، وإن كان الأكثرية من الضعفاء والشريعة للكافّة فمن رحمة الله وضع حكم يناسب الأكثرية الضعيفة من المؤمنين ومن أجل ذلك جاء الحكم في الآية الثانية ومقيّد بأمور فيدور الحكم معها وجوداً وعدماً.

فقال الله {ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا} فهنا قيد {ءأشفقتم}، فمَن أشفق ولم يفعل الأمر الأول لضعف فيه فلم يعد يناجني الرسول لأنه لا يريد تقديم الصدقة وهو واجد لها، جاءه الحكم الثاني لأن مراعاة نفسه ومنفعته بنجوى الرسول أولى من مراعاة فائدة صدقته. الكلام ليس عن غير الواجد للصدقة، لأن الآية الأولى فيها {فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم}. بالتالي الكلام عن واجد للصدقة، لكنه الذي نفسه تتعلّق بالمال إلى درجة

أنه يقدّمه على نجوى الرسول، ومن الواضح مدى ضعف هذا المؤمن الذي يفضّل شيء من المال على نجوى الرسول ونحن نرى اليوم وكما أخبر النبي مَن يتمنّى رؤية النبي ولو بالخروج من كل أهله وماله، رؤية النبي وليس مناجاته، بل مجرّد رؤيته تبعثه على ترك كل أهله وماله، لكن في المقابل في المؤمنين في ذلك الزمان مَن كان يفضّل مبلغ صدقة هو واجد لها وهي من عفو وزيادة على ما يحتاجه ولم يحددها الله بكمّية فلو تصدّق بشقّ تمرة فقد تصدّق كما قال النبي "اتقوا النار ولو بشقّ تمرة"، فأشفق هؤلاء حتى عن التصدّق بشقّ تمرة قبل مناجاة الرسول فلم يفعلوها، فقدّموا شقّ تمرة على كلام النبي والاجتماع به، وراعى الله ذلك فتاب عليهم فذكر الصلاة والزكاة والطاعة يعني الأمور المجانية أو الحد الأدنى من لوازم الدين.

فالحكم في {قدّموا بين يدي نجواكم صدقة} قائم، لكنه انتقل من الفريضة إلى النافلة وهذا أقصى ما يمكن أن يُسمّى نسخاً هنا وليس نسخ الإلغاء وإبطال العمل بالأمر. فالعمل يدور مع علّته، وعلّته ثابتة لأنها خبر عن واقع يربط بين سبب وأثر {ذلك خير لكم وأطهر}. فالأول نظر إلى القوة. والثاني نظر إلى الضعف الذي في الناس تماماً كآية القتال وبنفس الترتيب. ففي آية القتال قال "علم أن فيكم ضعفاً" وفي آية النجوى قال "ءأشفقتم". المؤمن القوي لا يقيّد دينه بالمؤمن الضعيف، وإن قيّد العمل المشترك بينهما به رحمة به حتى لا ينقطع عن السير في طريق الإيمان بسبب ثقله الزائد عليه طالما أن أصول الإيمان ثابتة في الضعيف والقوي. في زيادة درجة لا نقلة نوعية.

الخلاصة: إذا دققنا في كتاب الله سنجد أنه كله علم وكله عمل، على درجات. "هم درجات عند الله".

...

قال: كم سنة ينبغي أن يكون حكم الرئيس في النظام الديمقراطي بناء على الشرع؟

قلت: خمس أو سبع أو تسع سنين.

قال: من أين جئت بهذا؟

قلت: من حديث المهدي. فروي أن الله يصلح به الأرض من قمّة الظلم والجور إلى قمّة القسط والعدل في هذه المدّة. أوسط الروايات هي أنه يمكث سبع سنين. وفي رواية شكّ صاحبها ذكر الخمس، وفي رواية ذكر أن المهدي قد يُقصر مكوثه فيكون سبعاً أو يمتد فيكون تسعاً. فإذا أخذنا بالكل خرجنا بالاختيار ما بين الخمس أو السبع أو التسع مع تفضيل السبع.

قال: فهل يمكن الجمع ما بين هذه الاحتمالات الثلاثة؟

قلت: نعم. يمكن أن نطبّق الثلاثة على فروع الدولة الثلاثة، فنجعل الممثّل النيابي في السلطة التشريعية يمكث ٥ سنوات، والممثّل التنفيذي في السلطة التنفيذية يمكث سبع سنوات، والقاضي في السلطة القضائية يمكث تسع سنوات. هذا جمع.

جمع آخر، أن نجعلها بحسب النسبة. فإذا انتخب العامّة النائب أو الرئيس أو القاضي بنسبة تصويت ما فوق ٥٠ إلى ٧٠ في المائة نجعله يمكث ٥ سنوات في وظيفته، فإذا نال نسبة من ٧٠ إلى ٩٠ نجعله يمكث ٧ سنوات، وإذا نال ما فوق ٩٠ نجعله يمكث ٩ سنوات. وهذا عدل من حيث أنه ليس سواء أن يُنتَخَب الإنسان بنسبة قليلة فيستوي هو ومَن انتُخب بنسبة أكبر ولأنّه سيعبّر عن نسبة أكبر من الناس ورأيهم فيُعطى رأيهم مدّة أطول لتحقيقه. فمَن انتخبه النصف أقلّ ممن انتخبه الثلثان وهذا أقلّ ممن انتخبه ثلاثة أرباع الأمّة. فيُعطى كل واحد مدّة تناسبه بحسب نسبته.

...

(من سورة الأعراف)

-٦-

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم) خلق الجسم وصوّر النفس. الظاهر والباطن.

(ثم) بعد نفخ الروح.

(قلنا للملائكة) العقول النورانية الحاملة في ذواتها رسالة الله والموصلة لها لخلفاء الله.

(اسجدوا) اقبلوا إنباء المُعلِّم لكم تمام القبول مع الإقرار بعلو درجته عليكم بإعلاء الله له.

(لآدم) فكل الناس في آدم وآدم في كل الناس لأنه قال "خلقناكم ثم صورناكم" بالجمع. فكل إنسان تفعّلت جسمانيته ونفسانيته وروحانيته فقد تفعّلت آدميته وصار قبلة الملائكة في السجود. أي مكان يُعظَّم فيه العلماء فهو مظهر من مظاهر الجنّة.

(إلا إبليس):

أ-اتبع الملائكة في عبادتهم وعقلهم فصار منهم ثم عصى وتغيّر عقله فخرج منهم، خلافاً لآدم الذي إن عصى تاب وإن أخطأ آب [في أمّتنا: مثلاً الجهلة من الصوفية].

ب-هو أب ليس يعني مصدر النفي والعدمية خلافاً لآدم الذي له إثبات الأسماء والوجود [في أمّتنا: مثلاً أتباع الفلسفة الحداثية]

ج-هو صاحب التلبيس أي يُلبس الحق بالباطل ويخفي الحق بألبسة وأمثال وألفاظ كاذبة مموهة، خلافاً لآدم الذي يرى حقائق الأمور ويضع لها الأسماء الكاشفة لها [في أمتنا: مثلاً وعاظ ومشايخ السلطة الجائرة وطُلاب الشهرة برضا أهل الغفلة من العوام]

د-هو الذي يحاجج بالباطل فإذا جادلته انقطع ولم يعترف بالخطأ بالرغم من بطلان حجّته وظهور خطأه، خلافاً لآدم الذي يعترف بالحق بسرعة إذا تبيّن له [في أمتنا: مثلاً المُقلّدة للعقائد والمذاهب القديمة وأبرز مَن ورث هذه الصفة الإبليسية هم الوهابية]

(لم يكن) لم يُرد تكوين مقتضى أمر ربه التشريعي.

(من الساجدين) من الملائكة فكل مَن سجد طاعةً لله فبينه وبين الملائكة نسبة وكل من رفض بينه وبين إبليس نسبة. من التفرد ما يجعل العبد مرتفعاً ومنه ما يجعله ساقطاً، فمن التفرد المحمود "إن إبراهيم كان أمة" فاعتزل قومه وهم جماعة ولم يكن من المشركين، ومن التفرد المذموم إبليس، فالتفرد محايد وموضوعه وسببه وكيفيته تُحدد قيمته. في الآية دليل لأصل "لا إكراه في الدين" فإن إبليس لم يُكره ويُجبَر على السجود، لما لم يتلائم عقله وإرادته مع أمر الله لم يُفرَض عليه تنفيذ أمر الله التشريعي خضوعاً قهرياً.

(قال) الله. الذي أعطى الأمر يُحاسِب مَن عصى الأمر، ولم يتبرع الملائكة بمحاسبة إبليس ولا كلّف أحدهم نفسه بذلك. رب الدين يحاسب على الدين "عليك البلاغ وعلينا الحساب".

(ما منعك) ما الفكرة التي منعت إرادتك. ف"ما" التي لغير العاقل عندهم هي التي تحرّك العقل والإرادة وهما نفس العاقل.

(ألا تسجد) ألا تفعل. فالفعل تابع للإرادة والإرادة تابعة للعقل والعقل تابع للفكرة والتصور ولو كان باطلاً. فالله يسأل عن الفكرة لأنها أول السلسلة.

(إذ أمرتك):

أ-أمر تشريعي لا تكويني فإن التكويني لا يمكن عصيانه فالله غالب على أمره التكويني وأما التشريعي فلا لأنه أمر بالصلاة وأهل سقر لم يصلوا فغلبوا أمره التشريعي وكإبليس هنا، فإذا كان الله تعالى لا يجبر في أمره التشريعي فالذين يبنون أمرهم التشريعي على الجبر فقد أعطوا أنفسهم سلطة أعلى حتى من سلطة الله تعالى فوجب تدميرهم لأنهم ادعوا فوق سلطة الربوبية وما فوق الله غير موجود فوجب إخراجهم من هذا الوجود عدلاً.

ب-الأمر للكل أمر لكل فرد من الكل. الفرد لا تنمحي فرديته بدخوله في الجماعة الصالحة. ولذلك الحساب فردي "كلهم آتيه يوم القيامة فردا". بالتالي لكل فرد سلطانه العقلي والإرادي الذي يجب حفظ حدوده ولو كان في الأمة المجتمعة على أمر واحد. خلافاً لقتلة الفردية بحجة توحيد المجتمع.

ج-وراء كل أمر إلهي فكرة، مَن عقلها كانت على طريق الاستقامة ولو طال طريقه وكثر وقوعه، ومَن جهلها أبلس.

د-الأمر التشريعي غير المُعلَّل بالوحي لا يجوز تعليله بالرأي. فالله أمر "اسجدوا لآدم"، ولم يُعلل الأمر بأن الطين خير من النار، فاخترع إبليس عِلّة فضلّ بها. إذا ذكر الله العلل لأمره فبها، ولو لم يذكر فالسكوت أولى.
ه-العبد مع ربه حين يأخذ الأمر منه مباشرة لا يحتاج إلى تعليل لأن علمه بحكمة ربه كافية لثقته بحكمة أمره. لكن حين توجد وسائط بين العبد وربه ويحتاج العبد إلى إعمال رأيه لاستنباط حكم ربه فالأمر مختلف ولا يُطبّق عليه مثال إبليس الذي عقل أمر الله عن الله وفي العالَم الأعلى. الوسائط والدنيا والريب الممكن في الكتاب النازل يجعلون للرأي مجالاً مفتوحاً للعاقل. لا يُقال إبليس لمن يعصي أمراً أو يُعلل أمراً بالرأي إلا إذا تبين له أنه أمر الله حقاً. فلا يُساوى رأي الفقيه برأي إبليس.

(قال) إبليس. فإبليس كليم الله أيضاً. ويعلم بوجود الله. ويدرك شرع الله. ويدعو الله ويعلم قدرة الله. إذن كل هذه الصفات غير كافية بذاتها لتحصيل رضا الله والنعيم الأبدي. الصفة المناسبة هي طاعة أمر الله وعدم الإصرار بعناد جهول على معصية الله.
(أنا) المشكلة ليست قول "أنا"، لأن يوسف قال "أنا خير المنزلين"، والنبي يقول "أنا النذير". "أنا" تعبير عن الفردية وهي حقيقة.
(خيرٌ منه):
أ-ما معياره للحكم بأنه خير من آدم؟ ما علاقة الخيرية بأمر الله له بالسجود؟ إبليس من أصحاب الهذيان الذين لا يعرفون ماذا يقولون ولا كيف يجادلون.
ب-قال الله "ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك" يعني أمري هو سبب سجودك حسب الفرض وأنا ربك فلي حق الطاعة عليك بمجرد أمري لك. لكن هذا يكشف أنه ولا حتى الربوبية تسلب المخلوق الحرية، فإذا كان الله تعالى هذا شأنه مع عباده فإن أي عبد يدعي أن له سلطة ذاتية للأمر والتأمر على غيره من العباد فقد ادعى لنفسه مع عباد مثله ما لم يقم به الله تعالى مع عباده. لولا أن الله فطر إبليس على حرية العقل والإرادة لما حاسبه وسأله، فلو كان حكم الله جبرية لما وجدنا هذه المسائلة إذ صانع الكمبيوتر لا يحاسب الكمبيوتر.
ج-لإبليس وجه في عصيانه: كأنه قال، الأمر للملائكة وأنا من الجن، ثم آدم خير من الملائكة لكن أنا خير من آدم والسجود عبارة عن إقرار بالأعلائية لذلك نسجد لله، فقد خرجتُ من واجب السجود من جهتين، كوني من الجن وكون سجودي لآدم سيجعل فعلي ينافر الواقع وتنافر الرمز مع المرموز له قبيح لا يُنسَب إلى أمر الله. الرد على هذا: قال الله له "إذ أمرتك" فبيّن له قطعاً أنه داخل في المأمورين بالسجود فلو صدق في الجهة الأولى من حجّته لوجب أن يعترف

بالخطأ ويعتذر بالاشتباه ويسجد لآدم ويتوب الله على مَن تاب لكنه أصر ولم يذكر هذا الأمر فبطل الاحتجاج له به. وأما أن السجود يدل على أن المسجود له أعلى من الساجد فهذا أيضاً غير ضروري وغير صحيح، لأن الساجد قد يكون أعلى من جهة وأدنى من جهة أخرى فالملائكة أعلى من ءادم من جهة دوام الطاعة بينما ءادم عصى لكن ءادم أعلى منهم من جهة أنه يعرف الله بسبب معصيتهم بأسماء المغفرة التي لا تعرفه بها الملائكة ذوقاً لعدم عصيانهم وبالتالي لآدم علم ذوقي بأسماء إلهية ليس للملائكة ومعيار التفاضل الحق هو العلم بالله، كذلك مثلاً يعقوب سجد ليوسف بالرغم من أن يعقوب له درجة الأب وهي أعلى من درجة الابن، ثم الأهم من هذا أن الله قال لإبليس "أمرتك" فإذا سجد فهو يسجد لأمر الله بغض النظر عن المسجود له في الظاهر فالنبي سجد لحجر الكعبة والنبي قطعاً أعلى من الحجر لأنه إنسان ونبي فأمر الله هو الأعلى وطاعته طاعة الله بغض النظر عن صورته. وأما إذا نظر إبليس في جوهر الوجود فهو واحد بالتالي لا تفاضل بين الموجودات من حيث أنها كلها تجليات الحق بالذات. إذن ليس لإبليس حجة.

(خلقتني من نار وخلقته من طين):
أ-قد أقر بأنه مخلوق لله فلم تنفعه عقيدته مع عصيانه. فالحقيقة بدون شريعة طريق من طرق جهنم، كما أن الشريعة تستحيل بدون الحقيقة إذ لن يعرف أنها شريعة الله مَن لا يعرف الله.
ب-هنا أصل الأبلسة: حكم بناء على الخلق لا بناء على الصورة النفسية والنفخة الروحية ورفعة الخلافة الربانية. يعني حكم بالظاهر وكفر بالباطن. النار والطين من الظاهر الدنيوي، الجانب السفلي من الوجود. فجعل الخيرية بناء على العنصر المادي، فإبليس أب العنصرية العرقية والعصبية القبلية والعائلية وكل تفضيل بين الناس بناء على الهيئة الجسمانية. من هنا قال تعالى "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، فمن الذين يكفرون ببعض الكتاب أقرّ بأن الآية تؤسس للمساواة بين الشعوب والقبائل لكنه كفر بتأسيس نفس الآية للمساواة بين الذكر والأنثى والكلام واحد والسياق واحد، الذكورة والأنوثة في الأفراد والشعوبية والقبلية في الجماعات كلها من مستوى الخلق ولا خيرية بناء على مستوى الخلق إلا عند عبيد إبليس، فمن جعل الذكر خير من الأنثى أو الأنثى خير من الذكر أو جعل شعباً خير من قبيلة أو قبيلة خير من قبيلة فكل هؤلاء أبالسة كسيدهم الذي قال "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين". التقوى باطنية والخِلقة ظاهرية، والخيرية بالباطن "عند الله" والخيرية بالظاهر عند إبليس، فانظر مكانك من هذا الأمر لتعرف مصيرك عند رجوع كل نفس لربها واتصالها بحبيبها.

ج-النار لا تقوم إلا بشيء كالحطب مثلاً، أما الطين فهو ماء وتراب وكل منهما يقوم بنفسه مستقلاً. وتأويل ذلك في قوله تعالى "أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يُتَّبَع أَمَّن لا يهدِّي إلا أن يُهدى". الأول هو الذي يهدي باستقلال، الآخر كالأطفال معتمد على غيره. آدم مثل الأول، إبليس مثل الآخر. فآدم خير من إبليس من جهة الطين أيضاً بهذا التأويل الباطني للطين لا العنصري الظاهري. فمثل آدم كالمجتهدين الذين يتعلمون الحق من كتاب الله مباشرة، ومثل إبليس كالمُقلّدين الذين يتطفلون على إمام وهذا الإمام هو الذي يهديهم وبدونه لا يعرفون ما في كتاب الله. أكرم من المجتهد هو الولي الذي يقرأ بروحه كتاب الله في أم الكتاب العلي الحكيم وليس فقط في التنزيل الصوري. كلام الله وحي ومن وراء حجاب ومن رسول، فمن اهتدى بالحجاب أكرم ممن اهتدى بالرسول، ومن اهتدى بالوحي المُجرّد أكرم ممن اهتدى بالحجاب، والكل على خير عظيم مع ما بينهم من الفضل العظيم.
د-في التأويل: الطين ماء سماء وتراب أرض فجمع بين الأعلى والأدنى، وهو لسان الأمثال المقدّس، لأن المَثل معناه عقلي ومبناه طبيعي "ويضرب الله الأمثال للناس" فهو لسان إلهي ولباب إنساني، ومن الطين يخرج النبات المختلف الألوان وينمو كذلك الأسماء الحسنى وآيات الآفاق والأنفس ومظاهر الدنيا وجواهر الآخرة كلها تخرج من طين الأمثال المقدسة. أما النار فشيء واحد ما دخله يهلك وتفنيه وتبقى النار فقط، فلم تناسب النار الخلافة لأن الخليفة مَثَل إذ يُعبّر بذات خلافته عن ربه في الباطن وهو الماء وعن نفسه في الظاهر وهو التراب فالخليفة طيني بالرمز، وأما النار فتناسب الوحدة "كل شيء هالك إلا وجهه" ولذلك كان فرعون من أتباع إبليس لأنه قال "ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" فأهلك كل رأي وهدي أي كل عقل وإرادة إلا واحد وهو عقله وإرادته هو فكان ناري المُلك وبالتالي ليس خليفة الله، كما قال فرعون "أليس لي ملك مصر" فأهلك كل ملكيات أهل مصر لأراضيهم في مصر وجعل الملك ملكاً واحداً في الأصل وهو ملكه..

آدم أبو الخلفاء، إبليس أبو الملوك. لذلك قالت ملكة تعرف ماذا تقول ذوقاً وصدّقها الله "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة". الخلافة روح وعقل وأمر بالطاعة، المُلك عقيدة وأمر بالإكراه والجبر والقهر. دار الدنيا محل الابتلاء، والابتلاء مبني على الحرية في العقل والإرادة، فناسب الدنيا حكم الخلافة الطينية أي الإسلام. دار الآخرة محل الجزاء، والجزاء مبني على الجبرية، فناسب الآخرة حكم الملك الناري أي الاستسلام "بل هم اليوم مستسلمون" و"قُضي بينهم". فالملك الفرعوني يريد تمثيل ملك الله في الآخرة في الدنيا،

فوجب إذلالهم وإغراقهم وقطع دابرهم لأنهم اغتصبوا ما ليس لهم وادعوا ما ليس من شأنهم ولا لهم فيه قدم ولا حق. الطين سلطان التبيين، النار سلطان الإجبار. من هنا جزاء الأبالسة في الآخرة النار وأن لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم فيراعي حالهم كما لم يراعوا حقيقة الدنيا وحكمة الله ونفوس الناس. مَن زعم أن شرع الله يدل على شرعية الملوك أو أنهم يمثلون أمر الله وولايته وحزبه أو أسبغ على الناريين أي شرعية إلهية فهو ملعون وكافر وكذاب ودجّال وخائن.

(قال) الله جواباً لقول إبليس. إله حي يُكلِّم ويتكلَّم وليس كالعجل الذي لا يُكلِّم الناس.
(فاهبط منها) جزاء نظره إلى الجزء الهابط فيه وهو جسمه الناري. ففي الجنة العليا الروح هي الظاهرة والجسم باطن متواري فيها. بينما في الأرض الأمر بالعكس حيث الجسم هو الظاهر البادي والروح هو الباطن المتواري فيها.
(فما يكون لك أن تتكبّر فيها):
أ-المساواة بين العباد في الطاعة لأمر الله حال من أحوال أهل الجنة العالية ويظهر في الأرض بمساواة الناس أمام حكم الشريعة العادلة والأحكام المُقسطة.
ب-تكبّر كذباً وهو ليس أكبر حقاً، فالدعوى الكاذبة لتكبير النفس شأن إبليسي.
ج-يمكن التكبر فيها واقعاً وإن لم يجز شرعاً. فقوله "فما يكون لك" ليس قيداً تكوينياً وإلا لما وقع منه خلافه. شاهد آخر على أن الجنة ليست دار قهر تكويني، ومَن فطرهم الله على الحرية لن يتحولوا إلى آلات ولا يمكن ذلك واقعاً. فإذا كان هذا حال الجنة العليا فأن يكون كذلك حال الدنيا هو من باب أولى.

د-الفعل الحر لا يعني عدم المسؤولية. الحرية بمعنى حق العمل حسب الإرادة لا تعني بالضرورة الإباحة والتخلص من العقوبة. بالنسبة لله العباد أحرار في الدنيا على وجه الإباحة "اعملوا ما شئتم" "من شاء فليكفر"، لكن في الآخرة على وجه المسؤولية. إلا أن المسؤولية ليست عشوائية بل هي بحسب العمل ذاته "تجزون ما كنتم تعملون"، فنفس العمل له صورة أخروية تكونت بسبب عمل الحر فأعطاه ثمرة عمله، بالتالي هو حر مطلق لأنه لم يحكم عليه في الواقع غير نفسه "اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا"، فهو العامل حسب مشيئته وهو المحاسب نفسه بحسب قراءته، بالتالي الحرية مطلقة من الجهتين العمل والجزاء، الباعث والنتائج. وأما الربط بين العمل وصورته الأخروية فهو ربط جوهري وليس عشوائياً، سواء علم العامل به أم لم يعلم وإن كان الله لا يعذب حتى يبعث رسولاً يبين للناس الروابط بين العمل والجزاء ويقيم الحجة البالغة فلولا التبيين والحجة البالغة لما قضى الله على عبده بالنار كما قال

"قدمت إليكم بالوعيد"، ثم إن الربط كالربط بين الشرب والارتواء أو الغضب وحرارة الدماغ واحمرار الوجه أو الحب والتلامس بل هو أقرب لأن ذات العمل من العبد له وجود دنيوي ووجود أخروي في آن واحد فكما يحدث الأثر عن العبد فيرضى به كالذي يأكل مال اليتيم ظلماً ويرضى ذلك لنفسه فكذلك عدلاً سيضطر إلى قبول أكل النار في بطنه في الآخرة لأن الأثرين فرع إرادته الواحدة فكما قبل الأول عليه قبول الثاني فعقوبته منه وهو القاضي على نفسه شعر أم لم يشعر. بالتالي الحرية مطلقة في مُلك الله تعالى. الله ملك الأحرار، ملك الملوك "اذكروا نعمت الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً"، الملك استخلف ملكاً وإذا وهب ما سلب.

(فاخرج) لما أمره "اسجد" فعصى، أمره "اخرج" كجزاء. العدل أن الجنة ليس فيها إلا آدم والملائكة، وإبليس اختار رفض آدم والملائكة بإخراج نفسه من جماعتهم، فما أخرجه إلا نفسه.
(إنك من الصاغرين) جزاء "لم يكن من الساجدين". تكبر على أمر الله فأصابه صغار عند الله. فالكبير حقاً في الخلق هو مَن أطاع الله. الصغار مثل "يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" أي جبراً، لماذا؟ لأنه مارس الجبر. كالسارق أخذ ملك غيره جبراً فيُعاقَب جبراً وهو عدل وإنزال لنفس مبدئه عليه. الصاغرون هم الجبريون الناريون المجرمون المعذبون الناس لاخضاعهم، وإبليس أبو دعوتهم من حيث ناريته. لكن لم يسلطه الله على غير من تولاه فإنه حينها يستحوذ عليه لكن قبل اختيار عبادته ليس له سلطان قهري عليه بل دعوة مجردة.

(قال أنظرني إلى يوم يُبعثون):
أ-سأل مَن يعلم أنه لا يملك شيئاً من دون إذنه.
ب-مَن بُعثَ روحياً لم يكن للشيطان عليه سبيل بل يهرب منه الشيطان لأنه يعلم أنه يعرف حقائق الأمور فلا يخضع لوسوسته بل يراها سبباً لمزيد من الإصرار والثبات على العمل الصالح وتحقيق الأفكار وتمييزها.

(قال فإنك من المُنظَرين):
أ-إبليس الجاهل لم يدرك أن الله كشف له عن سر أفضلية طين ءادم من حيث المعنى على النار، لأن إبليس سأل من الله مقتضى الطين لا النار في القهر والجبر والوحدة، فبنى سؤاله على أساس حكمة الله في الدنيا، ولو كان عاقلاً لتاب. لكنه أصر بجهله وعناده. فمدّ الله له ما يريده من العذاب مداً حتى يزداد على ذنبه الأصلي ذنوب جميع من أضلهم والسنن السيئة

التي سيسنها ويعمل بها الناس والشياطين إلى يوم يبعثون فيزداد انحطاطاً في جهنم. هذا مظهر آخر على عدم إدراك إبليس ما يقوله.
ب-أنظره الله حتى نعلم أن مَن كان على الحق لا يخشى من عدوه بل يتركه يتكلم كما يشاء.

(قال فبما أغويتني):
أ-نسب فعله لله، أساس عقيدة الجبرية والذين يفعلون الشرور ويقولون كذباً هذا قضاء الله وقدره. إبليس داعي الجبرية الأول.
ب-غوى بتقديم الجسم على النفس، وبتقديم رأيه على أمر الله، وبالمعاندة بعد ظهور الحجّة. على هذه الثلاثة سيقوم إغواء إبليس.
(لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم):
أ-الذي هو تقديم النفس على الحس، وطاعة أمر الله، وقبول الحجة بسلامة صدر.
ب-الصراط المستقيم من الله إلى الإنسان غيباً، فهو عمود نور من فوق إلى تحت في المَثَل.

(ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم):
أ-الجهات الأربع غير الفوق والتحت، أي سأجعلهم ينكرون البُعد الطولي ويتيهون في البُعد العَرضي. بدلاً من عمود وحبل واصل ما بين السماء والأرض كما تقتضيه فطرتهم الطينية ذات الماء والتراب المجموعين، سأجعلهم ينكرون هذه العروة الوثقى ويشتغلون فقط بالمظاهر الدنيوية الطبيعية.
ب-"من بين أيديهم" آمال المستقبل الكاذبة، "ومن خلفهم" اتباع الآباء الجاهلين والضالين أو الذين يوجد في الحاضر ما هو أهدى مما وجدوا عليه آبائهم، "وعن أيمانهم" ليحافظوا على قوتهم الدنيوية ولو على حساب الدين، "وعن شمائلهم" ليتعاجزوا بضعفهم عن الاجتهاد وليكفروا بمسؤوليتهم بسبب ما يرونه ضعفاً فيهم يعذرهم عن العمل بكتابك.
(ولا تجد أكثرهم شاكرين):
أ-لن يشكروا نعمة الخلافة بتعليم الحق لوجهك لا طلباً للأجر والشكر من الناس، ولا بالحكم بالحق وعدم اتباع الهوى فيه والاستعجال.
ب-لن يشكروا فتحك لهم بابك ليعرجوا إليك بعمود النور، بل سيكفروا بكتابك ولن يسمعوا كلامك.
ج-لن يشكروا نعمة التمكين والمعايش والفراغ بدراسة كتابك والدعوة إليك والحكم بما أنزلت بعدما علموه.

د-ستجدهم في حالة إحباط ويأس وغم من هموم الدنيا ولن يبالوا بدينك ويشكروا نعمة ذكر اسمك ويفرحوا بمعيّتك وبكلمتك.

ه-"لا تجد أكثرهم"، دقيق في تعبيره، فإن الأقلية سيكونوا من الشاكرين. هذه الآية مبطلة لحجية الأكثرية في أمر الدين لمجرد أنهم أكثرية كمية. "إن تتبع أكثر من في الأرض يُضلّوك عن سبيل الله". لكن الأكثرية معتبرة وإلا لما ذكرها إبليس، وذكرها الله أيضاً في حكمه على العامة بحسب حال أكثرهم كما في "إن قومي اتخذوا هذا القرءان مهجورا" فقال "قومي" بالتعميم بالرغم من أن قلة من قومه لم يتخذوا القرءان مهجورا لكن لما كان أكثرهم كذلك عمم الحكم وعُلم خروج الأقلية من أدلة أخرى. فالأكثرية معتبرة في الدنيا وغير معتبرة في الدين من حيث الأصل.

(قال اخرج منها مذءوما مدحورا) الأمر السابق بالإخراج كان تشريعياً يعني اخرج بإرادتك لعدم مناسبتك لهذه الدار وأهلها إذ لا محبة بينك وبينهم. لكن هذا الأمر تكويني لذلك ربطه بالدحور الذي هو الدفع بشدة والطرد. فحتى بعدما سأل الله النظرة لم يعاجله بالعقوبة فلعله أراد النظرة ليذكر بني آدم بالخير وينذرهم من العصيان مثله، فلما استعلن بإرادة الإضلال جعله مذءوماً يعني معاباً محتقراً لإرادته الإضلال ومدحوراً لأنه لم يخرج طوعاً وأراد السعي لإدخال بني آدم في النار وهي دار القهر وبطلان فعالية الإرادة.
(لَمَن تبعك منهم) فتركه ليدعوهم وكذلك ليكوّن حزباً له أتباع على دينه. فإذا كان هذا حال الله مع الشيطان فأن يكون كذلك من حق كل فرد الدعوة وجمع أتباع لدينه من باب أولى.
(لأملأن جهنم منكم أجمعين) فحتى إذا كنا نعلم يقيناً أن الداعي سيوصل أتباعه إلى جهنم فله حرية القيام بذلك في الدنيا.

...

كل أمر في الشريعة والطريقة له درجتان، درجة للمؤمن القوي ودرجة للمؤمن الضعيف. وقد تنقسم الدرجة إلى طبقات تزداد القوّة في طبقة القوة ويزداد الضعف في درجة الضعف، لكن يبقى الجوهر محفوظاً بالنحو المرضي عند الله.

أمر الهجرة كذلك على درجتين. وفي زماننا هذا ومعي، هجرة القوي إلى أمريكا، وهجرة الضعيف إلى المكسيك. القوّة القدرة على الهجرة قانونياً ومالياً أي الُعدَّة "ولو أرادوا الخروج لأعدّوا له عدّة". وكل مؤمن مهاجر عظيم القدر عند الله ورسوله.

...

لا يوجد مطلق في العالَم، ولا يمكن لمطلق أن يظهر في العالَم إلا ويتقيّد بقيد ما. لذلك حتى سور القرءآن لم تُفتتح كلها بالبسملة، بل خرج استثناء التوبة.

...

{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله..من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية} لماذا؟ لو كان عدم إيمانهم علّة قتالهم، لما رفعت الجزية القتال عنهم إذ بقيت العلّة على ما هي عليه.

مسألة: هذه الآية جاءت بعد {يأيها الذين ءامنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم.} فيحتمل أن الخروج لقتال كفّار الأمم وسيلة لتحصيل جزيتهم لإغنائهم عن المشركين. فيكون القتال طلباً للجزية. ثم ما جاء بعد ذلك من ذكر كفريات اليهود والنصارى في الآيات التالية ٣٠ (نسبة البنوة إلى الله)، ٣١ (عبادة البشر)، ٣٢ (خبث النفس)، ٣٣ (وضاعة الدين)، ٣٤ (الفساد المالي للمؤسسة الدينية)، ٣٥ (استحقاقهم العذاب)، كل هذه وسائل لتثوير وتحريض نفوس المؤمنين على قتالهم واستحقارهم وعدم رؤية قدر لهم لا في عقولهم ولا في إرادتهم ولا في نفوسهم ولا في دينهم ولا في مجتمعاتهم ولا في مصيرهم ولا عند ربهم. فيكون الأمر بقتال كفار الكتابيين وسيلة لتحصيل المال منهم. فلا يكون القتال من أجل الإيمان بل من أجل المال. فهل يصح ذلك؟

لا يصحّ. لثلاثة أسباب على الأقلّ.

١- هذه الآية من سورة التوبة، وقد سبق أن تبرير قتال المشركين الخالصين مبني على أنهم نقضوا العهد ولا قيمة لعهدهم وأخرجوا الرسول من دياره من أجل دينه وبدأوا المؤمنين بالقتال، هذه ثلاث أمور واحدة منها تكفي لتبرير قتالهم عدلاً. فبيّن الله بذلك مبررات القتال الشرعي. العهد والإخراج والعدوان. فإذا كان هذا هو الحال مع المشركين الذين بلغوا النهاية في الشرك، فأن يكون مع مَن دونهم من المشركين وأصحاب الشبهات الشركية أولى. بل لا توجد أولويات هنا، لأن قتل النفس بغير الحق من المحرمات القطعية اليقينية، وذلك في كل نفس بدون أي قيد وتعريف للنفس، "لا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق". (قيد "التي حرّم الله" يحتمل واحد من اثنين: إما أن كل نفس حرّمها الله فيكون ذلك من قبيل تعريف حرمة النفس بأنها تابعة لتحريم الله وهذا مزيد إجلال للنفس من حيث هي نفس، وإما أن يكون المقصود أن بعض النفوس حرّمها الله وبعض النفوس لم يحرّمها الله فيكون النهي مقصوراً على النفوس التي حرّمها الله. هذه شبهة. وفي الشبهة الميل يكون للأسلم والأبعد عن العدوان. ولو كان المقصود

أن بعض النفوس لم يحرّمها الله فلجاز قتلها بالباطل أيضاً لأن النهي يزول عن قتلها فيصبح المعنى: يجوز قتل النفس التي لم يحرّمها الله بالباطل، وهذا باطل لأنه لا يوجد في شرع الله شيء من الباطل أصلاً وما هو عبثي وغير مبني على الحق. فإذا أضفنا إلى ذلك أن الله ربط ما بين سفك الدماء والفساد في الأرض، وسفك الدماء أيضاً مطلق لم يحدد دماً من دم، فالميل نحو اعتبار "التي حرّم الله" قيد تعريف وتعليل، أي النهي عن قتل النفس إلا بالحق مبني على أن النفس حرّمها الله، فلا يحلّ قتلها إلا الحق لأن الله هو الحق، فيكون الذي حرّم هو الذي حلل بسبب ظهور الحق. هذا الأسلم. ثم آية "من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً" تعزز هذا المعنى لأنها أطلقت النفس بغير تقييدها بالتي حرّم الله، فعرفنا جزماً إذن أن المقصود بقيد "التي حرّم الله" تعريف مصدر الحرمة وسببها. والحمد لله.) فبما أن النفس من حيث هي نفس محرّمة، ولا يجوز قتلها إلا بالحق. فيبقى تعريف ما هو هذا الحق الذي يحلل قتل النفس. والمقطوع به هو أن المحلل أسباب غير دينية، كنقض العهد والإخراج من الديار للدين والبدء بالقتال.

٢-إن قيل: بأن هذه الآية "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله" وضعت مظهراً آخراً للحق الذي يحلل النفس وهو عدم الإيمان. فلا ينقض هذا مبدأ "لا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق"، أن القتل من أجل عدم الإيمان صار من الحق. نقول: هذا مردود.

أوّلاً، لأن الآية ذاتها تردّه من جهتين: الأولى أنها ذكرت شروطاً مطلقة "لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب" وحملها على ظاهرها يقتضي أن لا يُقاتَل إلا من انعدم فيه تماماً كل هذه الشروط مجتمعة لأنها جاءت بالواو، فإذا وجدنا شخصاً لا يؤمن بالله مطلقاً ولا يؤمن باليوم الآخر بأي نوع ولا يحرّم ولا شيء مما حرّمه الله ورسوله ولا يدين دين الحق ومع ذلك يكون من الذين أوتوا الكتاب، حينها فقط قد يصح ما يقوله هذا، لكن هذا مستحيل في الواقع لأنه لا يوجد أحد ممن ينتمي إلى كتاب إلهي ولو محرّف إلا وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويحرّم ولو بعض ما حرّمه الله ويتبع ولو شيئاً من الحق ويحكم به، فواقعياً لا يوجد إنسان تنطبق عليه كل هذه الصفات بصورتها المطلقة في الآية. الجهة الثانية، نهاية الآية منعت قتلهم في حال أعطوا الجزية، بالتالي كفرهم بذاته لم يحلل قتلهم.

ثانياً، إن قيل بجواز القتال من أجل الإيمان، كان معنى ذلك أنه إنصافاً يجوز قتال المؤمنين من أجل الإيمان أيضاً، بمعنى أن الحرب الدينية في أصلها مشروعة، فتذهب آيات مثل "لا إكراه في الدين" أدراج الرياح. إلا أن يقال بأن القتال ليس من أجل إدخالهم في

الدين بل لإدخالهم في النظام السياسي عبر دفع الجزية، فيكون القتال باعثه ديني لكن مقصده سياسي، وبعد إعطاء الجزية يبقون على دينهم. لكن يرد على هذا التناقض ما بين الباعث والمقصد فيكون نفاقاً سياسياً بحتاً، ويرد عليه جواز استعباد المسلمين واستعمارهم سياسياً وإجبارهم على دفع الجزية أيضاً بمبعث ديني بشرط تركهم يمارسون دينهم، ويريد عليه أن الدين ذاته قد يأمر بعدم إعطاء الجزية للقاهر الباغي فيستحيل ترك الإنسان يمارس دينه مع استعباده سياسياً لأن دينه ينهاه عن العبودية السياسية فيتناقض ذلك، وهذه كلها ظلمات بعضها فوق بعض.

٣- المتشابه يُرد إلى المُحكَم، وما يؤدي إلى ظلم وظلمات لا يكون من دين الله المؤسس على البينات. فلدينا محكمات مثل حرمة النفس مطلقاً، عدم جواز الإكراه والقتال من أجل الدين فقط، و"قاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" فالاعتداء على مَن لا يُقاتلنا عدوان بعيد عن الله. ثم لدينا بعد آية الجزية الآية التي ذكرت المشركين وإن كانت تشير إلى مشركي العرب لكن خاتمتها أساس في القتال إذ قالت "قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين" فالقتال بدأ من المشركين كافة كما قال في أول التوبة "وهم بدأوكم أول مرّة". هذا أمر.

أمر آخر، إذا وجدنا أمّة شيوخ دينها يستعينون بالسلطة السياسية على جبر العامّة للخضوع لدينهم وشيوخهم، فهذه الأمة يجوز بل يجب قتالها من حيث المبدأ. وهذا ما كان الحاصل في ذلك الزمان. فالعامّة كانوا عبيداً للملوك والأحبار والقساوسة، بعبارة أوضح، الدولة بدينها الرسمي استعبدت العامّة. شيوخ الدين استغلّوا ذلك بإجبار الناس على عقائد كفرية مع تهديدهم بالحرق والعذاب والقتل وأنواع العقوبات على مخالفة عقيدتهم الرسمية، وزادوا على ذلك باستغلال العامّة مالياً لتجميع الثروات. ثم زادوا على ذلك بأنهم برروا لملوكهم استعمال جنود الدولة للغزو العدواني على الأمم لإجبارهم على الدخول في دينهم، وهذا ما فعله بابا الكاثوليك مثلاً حين قسّم أمريكا الجنوبية ما بين ملك اسبانيا وملك البرتغال وجعل عليهم مهمّة نشر الكاثوليكية هناك وقد فعلوا الأفاعيل وفعلاً اليوم أكثر الأمم كثلكةً في تلك البلاد، وقس على ذلك ما فعله أوائل مَن بعثهم ملك بريطانية ليستعملوا أمريكا وفعلوا ما فعلوه مع الهنود الحمر، وكذلك ما حصل في كندا وغيرها. هذا في التاريخ القريب، فما بالك بالحال ما قبل ذلك. فقتل الناس على الدين وإجبار العامّة عقائدياً ومالياً على الدين أمر سائغ وسارٍ في تلك الأمم كسريان الماء في الحلق. هؤلاء هم الذين قيل فيهم {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله}. مبرر القتال العدوان والإكراه الجوهري الشامل للداخل والخارج الذي بُنيت عليه تلك الدول

بمؤسساتها الدينية. فالحرب المفتوحة معهم هذا أصلها. وأما ما بعد ذلك من ذكر مفاسدهم العقائدية والأخلاقية والمالية فتدلّ على أن الكفر إن لم يصاحبه العدوان تركه الله ليوم القيامة لكن إن صاحبه العدوان أمر رسله بمعاقبتهم في الدنيا. ويدلّ أن الكفر بدون عدوان لا يحلل القتل ذكر الجزية هنا التي تدل على ذهاب القوة على العدوان {عن يدٍ وهم صاغرون} فدل على ذهاب قوتهم العدوانية وإلا لدفعوا عن أنفسهم، وكذلك نهي الله عن قتال الذين بيننا وبينهم ميثاق ولو اعتدوا على إخواننا في الدين الذين يستنصروننا في الدين فأبطل الله النصرة في الدين من أجل الميثاق ولو كان مع غير مؤمن بالله ورسوله "وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق" فقدّم الميثاق على النصر في الدين ومن الواضح أن المعتدي على مَن هو على مثل ديننا من أجل دينه لكن يكون على مثل ديننا. الكفر مع السلام ينتج السلام، الكفر مع العدوان ينتج القتال من أجل العدوان كأصل ومن أجل الكفر كمُعزز لإرادة القتال في المؤمنين لأنهم عرفوا تحريم الله للنفس فأراد الله إزالة هيبة هذه الحرمة بإظهار كفرهم بالله وفساد نفوسهم عقلاً وإرادةً وعملاً وسوء عاقبتهم عند الله. تعظيم المؤمنين لحرمة النفوس احتاج إلى ذكر الكفر والفساد عند المعتدين، لأن العدوان الظاهر فقط دنيوي بينما حرمة الله أمر من الآخرة والإلهي، والمؤمن يقدّم أمر الله والآخرة على أمر الدنيا، فقد يكره قتال المعتدي في الدنيا من أجل ذلك لأنه يرى الموت أدنى إليه من شراك نعله وقرب الساعة فلعله لا يبالي بردّ العدوان أو يتاونى فيه أو يتردد ولو قليلاً من أجل ذلك، فحتى يُذهب الله عنه كل ذلك ذكر كفريات المعتدين. وإلا فالقتال جائز بل واجب على الفئة الباغية ولو كانت من المؤمنين كما قال الله "فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله" بالرغم من كونهم من المؤمنين بنصّ الله، فالإيمان لم يمنع من قتالهم إن بغوا كذلك الكفر لم يمنع من مسالمتم ومواثقتهم إن سالموا، فعلّة القتال لا لإيمان ولا الكفر، بل هي العدوان والبغي.

مسألة: لماذا لا تؤخذ الجزية من المشركين وتؤخَذ من الكتابيين ولو كان فيهم الشرك والكفر؟

بعد تقرير أصل العدوان كسبب للقتال، يوجد فرق بين المشركين والكتابيين في المعاملة حتى على فرض استواء الصورة بينهما في العدوان. في قضية العدل، عدوانهم علينا وبدئهم بقتالنا وقتل بعضنا يبيح قتلهم. هذا أمر مُسلَّم. الآن بقي الأمر لنا، كيف نريد أخذ حقّنا. هنا فتح الله باب الرحمة للفريقين، فذكر التوبة للمشرك والجزية للكتابي. فالكتابي ليست عليه توبة بل له أن يبقى على كفره وشركه. أما المشرك كمشركي عرب الجاهلية فرحمته بالتوبة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحفظ العهد وعدم الطعن في ديننا، ومدار هذه حفظ العهد لأن الله لم يذكر طعنهم في الدين إلا بعد ذكره نقضهم العهد، "فإن نكثوا أيمانهم وطعنوا في دينكم

فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون"، نكث اليمين ونفي قيمة يمينهم هو المدار، وطعنهم في الدين فرع كما مرّ في مبدأ إزالة الحرمة من نفس المؤمنين. ثم حتى في المشرك إنما أمر بقتال "أئمة الكفر"، الأئمة وليس المأمومين، أي قادتهم ورؤسائهم، ثم لم يجعلها حرب إبادة بل قال "لعلهم ينتهون"، فالقصد إنهاء نكث الأيمان وما بعده من الطعن في الدين التابع له، فيحتمل أن يكون المقصود التركيز على أئمتهم وقادتهم بمعنى فكّ الرابطة ما بين الأئمة والعامّة لعل العامّة ينتهون عن اتباع أئمتهم الناكثين والطاعنين. يشبه هذا ما فعله الحلفاء مع النازية حين أعدموا كبار أئمتهم وتركوا عامّة الألمان بلا عقوبة خاصة، وفعلاً استقرّت الأمور هناك إلى يومنا هذا بلا ظهور عدوان مماثل بل صاروا يجرّمون هناك ظهور مثل هذ االمذهب السياسي العدواني في جوهره ومظهره.

مما يجعل للكتابيين حرمة في النفوس أنهم "من الذين أوتوا الكتاب"، فانتسابهم إلى الكتاب الإلهي يجعل لهم حرمة في نفوس المؤمنين بكتب الله. ثم توحيدهم وإن كان فيه كفر إلا أنه ليس كفراً خالصاً لأن عبادتهم مثلاً للمسيح هي عبادة للمسيح وهو رسول وكلمة وعبد الله فتعلّقوا بسبب من الله ثم لأنهم لا يقولون باختلاف جوهر المسيح عن الله فيقولون بإله واحد ويجعلون المسيح بعضه أو متماهياً معه، فمدارهم إذن على الله لكن ذهبوا يميناً وشمالاً، وهكذا في البقية. فرق بين مَن يقول الله إله ويوجد غيره وباستقلال عنه إله أو آلهة أخرى، وبين مَن يعرّف الله تعريفاً يجعل فيه أشخاص كثر بنحو ما. لكن يرد على هذا: أوّلاً أن المشركين من العرب أيضاً قالوا بأن الله هو الإله الأعلى وبأن الملائكة بنات الله وأن اللات والعزّة ومناة بنات الله وهم لله فلا فرق بينهم وبين مَن قال المسيح ابن الله من هذا الوجه، اللهم إلا الفرق ما بين المسيح وبين اللات والعزّى ومناة وهذا فرق عظيم لأن اللات ونحوها إما "أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزّل الله بها من سلطان" بينما المسيح اسم من الله حقيقي وحق ونزّل الله به سلطان. ثانياً، أن الله سمى اليهود والنصارى من مدعي البنوة لله بالمشركين كما في قوله بعد آية الجزية وفي نفس المقطع والكلام متصل "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم...ولو كره المشركون". فاعتبرهم من المشركين بادعاء البنوة لله. لكن فرّق الله بينهم وبين الذين أشركوا في آية تمييز الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين والذين أشركوا، فاعتبر هؤلاء وسطاً ما بين الذين ءامنوا والذين أشركوا فامتازوا عن الذين أشركوا بالتالي لا يمكن مساواتهم بهم من كل وجه. بعبارة أخرى، يوجد توحيد خالص ويوجد شرك خالص ويوجد بينهما أمر له وجه إلى التوحيد ووجه إلى الشرك. لذلك أيضاً توجد جنّة وتوجد نار ويوجد بينهما الأعراف. ويعزز ذلك أن المسيح ذكر في القرءان تحريم الله الجنّة على المشركين ومع ذلك شفع في مَن اتخذه وأمّه إلهين من دون الله كما في خواتيم المائدة، ولو دخل مَن اتخذه إلهاً في المشركين المحرّم

عليهم الجنّة لما ذكر حتى احتمال المغفرة لهم بقوله "إن تغفر لهم". فلا تزال للكتابيين ومَن له صلة بالتوحيد الخالص وصلة برسل الله وبكتب الله ولو من وجه حرمة في نفوس المؤمنين الموحدين.

إذن الفرق ما بين الجزية والتوبة راجع إلى كيفية رضا الأمّة عن التنازل عن حقّها في القصاص. وهو من باب الرحمة وحفظ الحرُمة. ومن حرمة النفوس عند الله حتى المشركة بالشرك الخالص وكره الله للقتل وسفك الدماء أنه جعل فرصة للمشرك الخالص المعتدي الناكث يمينه القاتل للمؤمنين المخرج لهم من ديارهم والرسول بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله جعل له باباً للتوبة وليصبح من إخوان المؤمنين في الدين بمجرّد ما يتوب ويصلي ويزكي وذلك الحد الأدنى من الدين. لا يوجد استغناء عن أي نفس، بل كل نفس لها حرمتها فعلت ما فعلت وقالت ما قالت، وما دامت هناك فرصة ولو صغيرة لحفظ النفس وجب العمل بها. لكن في حال نقضت هذه النفس حرمة ذاتها وفعلت الأفاعيل الظالمة والمظلمة ورفضت حتى ما فُتح لها من باب التوبة والمسالمة، فحينها يُقضى فيها بما قضت به على نفسها ويؤخذ منها الحق للمظلومين.

...

{إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرم ذلك الدين القيّم} ثم قال {إنما النسيء زيادة في الكفر يُضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله زُيّن لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين.}

الكفر يزيد وينقص. كما أن الإيمان يزيد وينقص. قال في الإيمان "وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا" فزيادة الإيمان سبب هو تلاوة الآيات وتلقّيها بالسماع والتعقل والرؤية في الآفاق والأنفس، وأسباب أخرى. كذلك الكفر له أسباب تزيده وأسباب تنقصه. فالكفر هنا عملي يتعلّق بتحليل ما حرّم الله، فالله حرّم أربعة أشهر، فمن كفر ذلك أحلّها. لكن الذين كفروا بالكفر الأول هذا زادوا على ذلك بالنسيء بحجّة مواطئة عِدّة ما حرّم الله، يعني اعترفوا بأن الله حرّم أربعة أشهر فآمنوا بأصل الحكم الإلهي، لكن بعد ذلك لم يحفظوا الأربعة من حيث ترتيبها في السنّة، بل جعلوا الأربعة عدد كمّي لا كيفية له، ففصلوا ما بين الكمّية والكيفية، واعتبروا الكمّية هي المقصودة وحدها، فصاروا يحرّمون أشهر أخرى أو أيام من أشهر أخرى حتى يتم لهم ١٢٠ يوماً. هذا هو التزيين {زُيّن لهم}، الزينة شيء يوضع على شيء، أي ظاهر على أصل، كذلك هنا هؤلاء أخذوا ظاهر حكم الله بتحريم أربعة أشهر وتركوا الأصل الكيفي الذي هو تعيين أربعة بأعيانها من أي شهر آخر في السنّة. الحكم له صورة كلّية تشمل كيفيته

وكميته، فمن فصل بينهما بعد معرفته الحكم فقد كفر، فمن زاد على ذلك بتحريم أشهر أخرى لم يحرمها الله فقد كفر كفراً زائداً لأنه الآن حرّم ما أحلّ الله. هذا وجه آخر في الزيادة في الكفر. فالوجه الأول الكفر برفض العمل بحكم الله ثم الكفر بالتفريق ما بين كيفية وكمّية حكم الله فكفروا الكيفية وآمنوا بالكمّية. الوجه الثاني كفروا بترك العمل بحكم الله ثم كفروا بالإصرار على ذلك مع علمهم به. الوجه الثالث وهو الأقوى هنا، الكفر بتحليل ما حرّم الله ثم الكفر بتحريم ما أحل الله. فتحليل ما حرّم الله كفر، وتحريم ما أحل الله كفر. وفاعله يسمّى كافراً بتسمية الله {والله لا يهدي القوم الكافرين}.

فماذا عن أيام الصيام؟ {كُتب عليكم الصيام...فمن كان مريضاً أو على سفر فعِدّة من أيام أخر}. فمن هنا علمنا أن أيام الصيام ليست مقصودة لذاتها، وإلا لما ناب عنها غيرها من الأيام مطلقاً. {فعِدّة من أيام أخرى} دليل على أن العدد في الأيام هو المقصود، أي الكمّية لا الكيفية في اليوم. المهم في الصيام شهر في السنّة، الأصل أن يكون رمضان، لكن العذر بالسفر أو المرض يبيح صيام أيام أخرى، والفدية ترفع كتابة الصيام عن الذين يطيقونه. إذن توجد طاقة على الصيام، من وجدها فعليه صيام شهر في السنّة هو رمضان تعييناً. فإن لم يرد الصيام فعليه الفدية. وإن كان مريضاً أو على سفر، فعليه صيام أيام أخرى من السنة يحددها هو. بالتالي شهر الصيام ليس كالشهر الحرام، الشهر الحرام مقصود بالذات وبالعدد، بينما شهر الصيام مقصود بالعدد مع وجود استثناء وبالذات وكذلك لها استثناء.

...

قال النبي أن المؤمنين كالجسد الواحد. نعم. قلب هذا الجسد هو النبي، وروحه القرءان. نفس المؤمن سراب من حيث شخصه، نبي وقرءان من حيث قلبه وروحه.

قلت في الصلاة الربانية عن النبي {العبد الكلّي}: الكلّي لأن كل عبد دونه هو جزئي بالنسبة له. والكلّي لأن كل ذاته بكل ما فيها تابعة لله تعالى فلا يعقل إلا بأمر الله "فاعلم أنه"، ولا يريد إلا بإرادة الله "اتبع ما أوحي إليك"، ولا يقول إلا بأمر الله "قل هو الله". لذلك مآل المؤمنين إلى ذات النبي "فادخلي في عبدي".

نصلّي على النبي لأنه "ما هو على الغيب بضنين"، فكل ما يُفاض عليه يُفيضه علينا.

...

{يأيها الذين ءامنوا} نداء لأهل هذا العصر.

{ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله} هاجروا للدعوة من خارج جزيرة العرب، وقاتلوا كل طاغية في جزيرة العرب.

{اثّاقلتم إلى الأرض} أرض بلادكم فلا تهاجرون، وأرض أبدانكم فلا تقاتلون.

{أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة} حياة بلا حرية كلمة، ولا حرية أمّة.

{فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل} كتم الروح وذل النفس، وقهر الدولة ونهب المال.

{إلا تنفروا} بالهجرة، وبالقتال للحرية.

{يعذّبكم عذاباً أليماً} في نفوسكم كأثر لكتم القول وذل الروح، وفي أبدانكم وأموالكم بسجن المجتمع وهوان القيمة.

{ويستبدل قوماً غيركم} من غير العرب يحملون الدين وتنتقل الدعوة إلى أرضهم وتزول من أرضكم الحرمة والقيمة والمركزية.

{ولا تضرّوه شيئاً} بل تضرّون أنفسكم ومكانكم في الأقوام وفي الآخرة الكبرى تُحشرون مع مَن جحد نعمة الله وكفرها بعدما جاءته وترجعون إلى ذل الجاهلية وهدم الكعبة وزوال الحرمة.

{والله على كل شيء قدير} لا يتقيّد بأرض ولا بقوم، بل يجعل دينه عند مَن هم أهل له. فلا تظنّوا أن ما مضى يقضي على الله، بل يستأنف الله حكماً جديداً ويصطفي قوماً آخرين وينساكم كما نسيتموه ويجعلكم ذيلاً بعدما صيّركم بدينه رأساً.

{إلا تنصروه} داعي الله وحامل كتاب الله بالحق وبالإذن الحي في عصركم.

{فقد نصره الله} بالهجرة.

{إذ أخرجه الذين كفروا} بالهمّ بإخراجه كما قال "وهمّوا بإخراج الرسول" فالهمّ عمل، ولأنهم قصدوا ذلك، ولم يتركوه حرّاً يقول ويجمع الناس في أرضه.

{ثاني اثنين} هاجر معه صاحبه إيماناً به.

{إذ هما في الغار} أخذوا بسبب الحفظ لكن توكلوا على الحفيظ.

{إذ يقول لصاحبه "لا تحزن إن الله معنا"} فارقنا مخلوقاً لكن معنا الخالق. فارقنا المجرمين لكن سيجعل الله معنا الأنصار المؤمنين.

{فأنزل الله سكينته عليه} نصر النفس بالسكينة.

{وأيّده بجنود لم تروها} فنصره في نفسه وخارج نفسه. حتى يرى نصر الله في الآفاق وفي نفسه. فإلا تنصروه بطاعته حتى تسكن إرادته فيكم، وتأييده بأيديكم وأموالكم وتصيروا جنوداً لدعوته، فقد نصره الله وأغناه عنكم. فلم يأمركم بنصره فقراً إليكم لكن فتحاً لباب الرفعة لكم.

{وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا} إنما خرج لكي تكون كلمة الله هي العليا ولا يعلو عليها كلمة الذين كفروا بإخراجه وبالاعتداء عليه ومنعه من إعلان كلمته وإظهارها في الأرض بحرية. الذين كفروا كلمتهم في الحقيقة السفلى لكنهم يريدون جعلها في الصورة العليا عبر قهر مَن يقول كلمة غير كلمتهم، فكلمتهم عالية صورياً سفلى حقيقياً. لكن كلمة الله هي العليا واقعياً ولابد من إعلائها اعتبارياً وسياسياً عبر منع أي قهر وعدوان للمتكلّمين بها في الأرض. الذين كفروا يحاربون المتكلّمين ليُعلوا كلمتهم، الذين ءامنوا يحاربون مَن يحارب المتكلّمين لكي يظهر العلو الفطري لكلمة الله ويقبلها مَن هم أهلها طوعاً بلا إكراه ولا فتنة تعذيب ولا قتل.

{والله عزيز حكيم} عزّ فنصر، وحكم فاختار. أعزّه بالخروج ولم يذلّه كما يتوهم الذين كفروا الذين يعتبرون الهجرة ذلاً ومهانة للنفس. وبحكمته اختاره واختار مَن يخرج معه وإلى أن يخرج ولماذا وكيف ومتى. أخرجه ليعرفه بالعزّة التي سيراها في نفسه وفي دعوته، ويعرفه بالحكمة التي ستنزل عليه ويراها الناس فيه.

{انفروا} أمر لكل المؤمنين والمؤمنات.

{خِفافاً وثِقالاً} على درجتين، حتى يراعي القوي والضعيف. اترك كل شيء وهاجر أو خذ ما استطعت معك وهاجر لكن لا تجعل ثقلك يمنعك من الهجرة. استعمل ما معك فإن الله سيؤيدك.

{وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله} سخّر مالك لما تحتاجه الدعوة من أشياء، وسخّر نفسك بالقول والإعانة والفعل ما استطعت.

{ذلكم خير لكم} دنيا وآخرة. إذ في الدنيا صار لحياتكم معنى، وفي الآخرة صرتم إلى الجنّة.

{إن كنتم تعلمون} العلم أساس النفرة. لذلك سينشر الجهل ضُلال الشيوخ وطغاة الحكام.

{لو كان عَرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقّة} هذا فيمن لا يهاجر بحجة بعد المسافة وصعوبة السفر. لكنهم لا يبالون بمثل هذه المسافة لو كان من أجل السياحة واللهو. لعب بهم الشيطان فأضلّهم.

{وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم} سمعت مثل هذا من كثير.

{يهلكون أنفسهم} بالانحصار في أبدانهم وبلدانهم التي تموت فيها النفس وكرامتها وعقلها وكلمتها.

{والله يعلم إنهم لكاذبون} فباب العلم بكذب أنفسهم مفتوح لهم، فليراجعوا حقيقة مقصدهم.

{عفا الله عنك لم أذنت لهم} يميل الرسول للرحمة والتيسير. فأذن لهم بالقعود تصديقاً لهم فيما قالوه بعد حلفهم بالله واعتذارهم بعدم الاستطاعة، وهذا كقسم إبليس لآدم بالنصيحة.

{حتى يتبيّن لك الذين صدقوا} بالحجّة الظاهرة. لا فقط القول. فلا تأذن لأحد وإلا زال عنه تكليفه الشرعي، حتى تتأكد من كل وجه أنه لا يستطيع العمل.

{وتعلم الكاذبين} فلا تأذن لهم ويحاسبهم الله على عصيان الأمر.

{لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين} لا يستئذنون للقعود وعدم العمل. فالإيمان يدعو للجهاد للحرية، والكفر يدعو للرضا بالعبودية. التقوى الإيمان مع الجهاد بدافع قلبي لا خارجي ولا حتى من الرسول.

{إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله} فكفروا بأنفسهم الفطرية وكرامتها.

{ولا باليوم الآخر} باطن الأمر العقلي والروحي، وعاقبة الهجرة الحسنة في الدنيا من المُراغم الكثير والسعة، وعاقبة الأمر بعد الموت من الجنّة ورضوان من الله أكبر.

{وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون} لم تتبيّن لهم الأمور ولم يختاروا عملهم على مبدأ صحيح، بل مرّة مع النفس ومرّة مع الحسّ، مرّة مع الجديد ومرّة مع العادة، مرّة مع أهل الله ومرّة مع أهل الدم، مرّة مع تعظيم الأقوال ومرّة مع تعظيم الأموال، مرّة مع الشعور بأنهم في أرض الله ومرّة يعكفون على عشيرتهم وألقابهم.

{ولو أرادوا الخروج لأعدّوا له عدّة} علامة الصادق. يعدّ بكل ما استطاع.

{ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين} عبيد البشر والحس.

{لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة} فلا تشعروا بنقص في جماعتكم لأنهم لم يخرجوا فيكم، بل خروجهم ضرر عليكم ولذلك ثبّطهم الله عنكم. ولكانوا مثل عباد العجل الذين خرجوا مع موسى من مصر. لا تشعروا بفقدهم، بل احمدوا الله على تثبيطهم وتمييزهم عنكم.

{وفيكم سمّاعون لهم} كالذين سمعوا للسامري. فلابد من تطهير مستمر للطائفة. وسيُنزل الله بالطائفة الصادقة الكثير من الابتلاءات حتى يتبيّن الحال ويمتاز الخبيث من الطيب.

{والله عليم بالظالمين} فمن سمع لغير الرسول والمهاجرين وأنصار الله وسمع للقاعدين فهو من الظالمين.

...

{وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها، إذ يتنازعون بينهم أمرهم، فقالوا "ابنوا عليهم بنياناً، ربّهم أعلم بهم"، قال الذين غلبوا على أمرهم "لنتّخذن عليهم مسجداً"}

اتخاذ مسجد على قبر غير اتخاذ القبر مسجداً. في الحديث عن النبي [إن من شرار الناس مَن تدركه الساعة وهم أحياء، ومَن يتّخذ القبور مساجد] فلم يقل النبي "مَن يتخذ على القبور مساجد" ولو قال ذلك لتساوى هذا مع ما في القرءان من قول الذين غلبوا على أمرهم "لنتخذن عليهم مسجداً".

{قال الذين غلبوا على أمرهم}. هؤلاء أهل الحق. لأنه لم يرد في كتاب الله نسبة الله للغلبة لأحد إلا وهو على الحق. الآيات التي فيها ذكر الغلبة على أصناف:-

١- ذكر الغلبة لله والمغلوبية للكفار، نصّاً وتصريحاً. فقال {كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله} فالغالب هنا بإذن الله. وقال {قل للذين كفروا ستُغلَبون} فالمغلوب الكافر والغالب الله ورسوله. وقال {ومَن يُقاتِل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً} فالغالب هنا المقاتل في سبيل الله فهو المحق. وقال {فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين} والغالب هنا الله وموسى والمغلوب كفرة آل فرعون والسحرة. وقال {ثم يُغلَبون والذين كفروا إلى جهنم} فالغالب الله والمغلوب الكافر. وقال في تحريض النبي للمؤمنين على القتال عن المؤمنين {يغلبوا} فالغالب المؤمن الصبر بإذن الله. وقال أهل النار {ربنا غلبت علينا شقوتنا} فالغالب هنا الحق والمغلوب هو الشقي في النار. وقال وهي من أمّهات آيات شرح الغلبة بل هي أكبر آية في الغلبة وحقيقتها وأصل نسبتها {كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} فالغلبة بالأصل والذات

لله تعالى ورسله بالتبع له، بالتالي الغلبة في الناس تكون للرسل ولأهل الله. آية أخرى من الأمهات {إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده} فالغلبة فرع نصر الله ونصر الله للمؤمنين. وقال {قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين"} وذلك فرع كتابة الله لهم الأرض وأمر موسى رسول الله لهم بدخولها فالغلبة هنا لأنهم من المؤمنين الطائعين لله. آية أخرى من الأمهات قوله {ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} وهذه ظاهرة في نسبة الغلبة لحزب الله وولايته وأهله. آية أخرى من الأمهات بل هي مفتاح الآية محل دراستنا في سورة الكهف قوله تعالى عن تدبيره ليوسف وجعله في بيت العزيز {وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض..والله غالب على أمره} فسمة {الله غالب على أمره} مفتاح ما نحن بصدده فتذكرها. وقال الله {بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون} وهذا استفهام مع إنكار لمضمونه ولم ينسب الغلبة لهم بل بالاستفهام وفي هذا السياق نفى كونهم {الغالبون} بل أثبت الغلبة لنفسه تعالى عليهم إذ له التصرف في الأرض لا لهم. وقال الله لموسى وهارون {ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومَن اتبعكما الغالبون} فبيّن هنا سبب الغلبة هو آيات الله. وقال مبينا أصل الغلبة بنصّ صريح {ونصرناهم فكانوا هم الغالبون} فنصرة الله سبب والغلبة أثرها. وقال تعريفاً لأصحاب الغلبة بآية هي من الأمهات أيضاً {وإن جندنا لهم الغالبون}.

٢-ذكر محاولة الكفرة الانتساب للغلبة هم عدم فلاحهم. مثل {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلّكم تغلبون} لاحظ "لعلّكم"، وهذ نسبة ظنّية ومحاولة لتحصيل ما بعدها، ولا يوجد ولا مرّة نسبة الله للغلبة لأحد بصيغة لعل وبقية الممكنات بل هي دائماً أمر يقيني حاصل. مثال آخر {وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين} فهنا محاولة مبطلين للانتساب إلى الغلبة ولم تفلح طبعاً لكن لاحظ أن هذا من قولهم ولم تتحقق فيهم صفة الغلبة "إن كنّا نحن الغالبين" إن فقط. مثال آخر {وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريئ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب} فهنا محاولة جريئة لشيطان لنسبة الغلبة لكفار بصيغة الخبر الجازم، لكن لأنها نسبة من شيطان فلا تنسب إلى الله أي الله لم يخبر بأن هؤلاء "لا غالب لهم" بل الشيطان نسبها كذباً وزوراً ثم سرعان ما تراجع ونكص وتبرأ مما قاله، فنسبة الغلبة محفوظة ومن ادعاها بالباطل تبيّن بطلان قوله عاجلاً كالسحرة مع فرعون وكالشيطان مع المشركين. وقال تعالى عن السحرة {فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزّة

فرعون إنا لنحن الغالبون} فنسبوا أنفسهم للغلبة فسرعان ما تبيّن بطلان قولهم وباعترافهم، كالشيطان في ما سبق، وهذه نسبة من السحرة لأنفسهم ولم يصفهم الله بأنهم غلبوا فتمتاز عن آية الكهف التي نحن بصددها، فهذا فرقان من جهتين إذ هي نسبة من السحرة لأنفسهم ونسبة أنكرها عاجلاً من نسبها لنفسه بالباطل، بينما آية الكهف نسبة الغلبة من الله للذين اتخذوا على أصحاب الكهف مسجداً ونسبة لم يخبرنا الله أن مَن نسبها له قد أنكرها وتراجع عنها بعد ذلك وأظهر خلافها قولاً أو فعلاً بل استقرّ الأمر على اتخاذ مسجد عليهم.

٣-آيات مشتبهة تُحاكَم إلى ما سبق من يقينيات في ١ و٢. مثل {غُلِبَت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر مَن يشاء}. فهذه الآية تدلّ على أن الروم سيتغيّر حالهم، فغُلبوا حين كانوا كافرين، وغلبوا حين صاروا مؤمنين. فهذه بشرى بأن الروم سيؤمنون وسيُصبحوا من حزب الله الغالبين ومن جند الله الغالبين. مثال آخر يمكن إدراجه في الصنف ٢ أيضاً وهو قول قوم فرعون {لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين} فهنا لاحظ أن نسبة الغلبة خرجت من القوم لا من الله، ثم حتى هؤلاء لم يثبتوها يقيناً للسحرة بل بنسبة شكّ واحتمال وقد تبيّن عدم تحققها للسحرة المبطلين.

٤-ذكر جذر الكلمة لمعنى مغاير للغلبة. مثل "وحدائق غلبا" أي كثيرة وطويلة وعظيمة وملتفة وغليظة ومتراصة ونحو ذلك من معاني الكثرة والظهور.

الحاصل: هذا استقراء تام لذكر الغلبة في كتاب الله. لا يشذّ منها ولا مرّة واحدة شيء عن قاعدة نسبة الغلبة الصادقة والثابتة لله ورسله وجنده والمؤمنين بآياته والمنصورين به.

بناء على ذلك نرجع إلى قراءة قوله تعالى {إذ يتنازعون بينهم أمرهم} فحصل تنازع ما بين الناس عن ما الذي يجب عمله مع أصحاب الكهف بعد موتهم. فريق قال {ابنوا عليهم بنياناً، ربهم أعلم بهم} هؤلاء أرادوا طمس قبورهم بحجّة أن ربهم أعلم بهم فلا داعي لتعليم الناس عنهم، فيحتمل قولهم {ابنوا عليهم بنيانا} أنه بناء يخفي قبورهم أو بناء من صنف الأبنية التي ليست بمسجد ومكان تعبّد، فعلى الوجه الأول أرادوا إخفاء قبورهم، وعلى الوجه الآخر أرادوا بناء مَعلم غير ديني. الفريق الآخر قال {لنتّخذن عليهم مسجداً}، فقولهم {لنتخذن} دليل على عدم طمس قبورهم وتعريف أنفسهم وغيرهم بقبورهم، وقولهم {مسجداً} دليل على أن البناء

مسجد وهو مكان السجود مثل "مساجد الله"، فهو بناء ديني يحصل فيه سجود وتعبّد لله تعالى. الفريق الذي نصره الله فكان هو الغالب هو الفريق الذي اتخذ عليهم المسجد كما وصفهم الله {قال الذين غلبوا على أمرهم} تماماً كما قال الله عن نفسه "الله غالب على أمره". فهذا وصف لله تعالى لهم ونسبة الغلبة لهم من الله، ولم ينسبوها إلى أنفسهم ولا نسبها إليهم أي إنسان، فكانت نسبة صادقة. ثم لم يخبرنا الله بأي نقد أو رد أو رفض لما قالوا وقاموا به على عادة القرءان في استنكار المنكر ورد الباطل. ولم يخبرنا الله بأن هؤلاء تراجعوا عن ما قالوه كما تراجع السحرة أو الشيطان عن نسبة الغلبة الباطلة لقوله أو فعله. فدلّ كل ذلك على أن اتخاذ المسجد على قبور أصحاب الكهف حق من الله وبنصر الله وقائل ذلك وفاعله منصور غالب من جند الله وحزبه وأهل ولايته ورسله والمؤمنين.

النتيجة: اتخاذ المساجد على قبور المؤمنين حق عند الله. وتكون هذه المساجد أماكن للسجود لله وعبادته، ويتذكّر فيها الناس وعد الله والساعة ونصره للمؤمنين فيها والآيات التي ظهرت بهم وعليهم.

إلا أن أصحاب الكهف كانوا {من آياتنا}. بالتالي اتخاذ المسجد على قبر المؤمن يحتمل واحد من أمرين:

إما أن نرى كل مؤمن آية لله لأن نفس إيمانه آية من آية الله ودليل على فعل الله كما قال مثلاً "وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله" فذات الإيمان اية لله وحصوله آية لله وآثاره آية لله، بالتالي كل مؤمن آية لله وإيمانه من "خوارق العادات" البشرية والطبيعية إذ الإيمان أصله مما فوق البشرية إذ هو من الوحي ومن وراء الطبيعة إذ أصله هو الله تعالى. على هذا الأصل، اتخاذ مسجد على قبر كل مؤمن أمر جائز.

وإما أن نرى خاصّة المؤمنين كآيات الله، أي المفضّلين من المؤمنين كأصحاب العلم اللدني الخاص كما قال داود وسليمان "الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين". وكأصحاب الكهف الذين ظهرت بهم آيات خاصة. وعلى ذلك يكون اتخاذ المساجد على قبور خاصة المؤمنين هو الأفضل.

الأحق مذهب الجمع بين الأمرين. لأن المؤمن آية لغير المؤمن، والعالِم آية للمؤمن. فيكون اتخاذ مسجد على قبر المؤمن أيا كانت درجته علامة تنفع غير المؤمنين ليعتبروا به، فينفع ذلك بالأخصّ غير المؤمنين. وأما في مجتمع المؤمنين، فإن التمييز يكون بشيء فوق الإيمان وذلك ما سمّيناه الاختصاص والرفعة والتفضيل كعلم منطق الطير في داود وسليمان مثلاً، فأصحاب

العلم والعمل الذي يزيد على أساس الإيمان يجعل صاحبه متميزاً بين المؤمنين فتوضع له العلامة ليمتاز ويكون عبرة للمؤمنين بالجد والاجتهاد والشكر والانتفاع بطريقته.

"المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً". المساجد لله لكنها على أصحاب الكهف. فرق بين الأمرين. ومن هنا نفهم شرار الخلق الذين "يتخذون القبور مساجد" أي يصبح مسجدهم القبر، بمعنى عبادة المقبورين أنفسهم والسجود لأصحاب القبر كآلهة وأرباب من دون الله. هذا لا يقوم به أحد من أمّة القرءان.

إن قيل: نسدّ ذريعة السجود للقبر بعدم اتخاذ المسجد على القبر. نقول: لا نسدّ ذريعة شرّ جاهل بمنع منفعة وخير للمؤمن والعاقل. سد الذريعة يكون بالتعليم والتذكير، لا بمحاربة أحكام الله وفعل جند الله. لا نهدم الكعبة سداً لذريعة اتخاذها صنماً من دون الله. لا نمنع التطواف في الصفا والمروة سداً لذريعة كونهما أماكن أصنام في الجاهلية. لا نهدم مسجداً أُسس على التقوى لاحتمال أن يحوّله بعض الجهلة إلى مسجد ضرار. لا نحرق القرءآن لأن بعض الناس يحرّفه ويضلّ به ويزداد ظلماً وكفراً بسبب نوعية قراءته له وتعامله معه. سدّ الذريعة بهذا النحو هو تشريع من دون الله وهو بحد ذاته من الشرك الذي يزعم الجهلة أنهم يفرّون منه، يزعمون خوف الفتنة "ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين".

...

(عن حفظ الأرض)

قال النبي {لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس} وقال {لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض "الله الله"} وقال {لا تقوم الساعة على أحد يقول "الله الله"}.

إذن، شرار الناس هم الذين لا يقولون في الأرض "الله الله"، سواء كانوا جماعة أو فرداً. فخير الناس هم الذين يقولون "الله الله" جماعةً كانوا أو أفراداً. فداوم على ذلك في نفسك وفي الجماعات والمجالس والحوارات وأينما كنت من الأرض، فإنك بذلك تحفظ نفسك وتحفظ الأرض.

بناء على هذا الحديث نعلم أن الصوفية من خيار الناس، والوهابية من شرار الناس، لأنهم لا تجد صوفياً لا يقول "الله الله"، ولا تجد وهابياً عادةً يقول "الله الله" بل ينفر منها ويحاربها ويفتي الفتاوى ضدّها ويسمّيها لغواً وحشواً من القول ولا فائدة من ذكر الله باسمهم المفرد وتكراره. فالأرض باقية ما بقي صوفي فيها.

بيّن النبي في الأحاديث صفات إن بقيت بقيت الأرض وإن زالت زالت الأرض.

١-قول {الله الله}. وقد مضى بيان ذلك.

٢-معرفة المعروف كمعروف والمنكر منكر. فقد قال {فيبقى فيها عجاجة لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكرا}، مما يدل على أن المعروف والمنكر حقائق موضوعية لا أمور اعتبارية ونسبية. فلو كان ما عرفه الناس هو المعروف، والناس دائماً يعرفون وينكرون، لما أمكن أن يوجد إنسان أصلاً ينطبق عليه وصف {لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً}. فدلّ على أن المعروف وصف للشيء بنحو حقيقي لا اعتباري نسبي، وكذلك المنكر. فكيف يكون ذلك؟ في الطبيعة لا يوجد فعل معروف وفعل منكر من حيث ذاته، لأن الطبيعة لا تقول بل إما تستطيع أن تفعل فيها وإما لا تستطيع، ثم ليكن ما يكون من الأفعال فيها ولذلك تحتمل الفساد والصلاح والقتل بحق والقتل عبثاً ولهواً وعدواناً وهلمّ جراً. الطبيعة تحتمل كل الأفعال المعروفة والمنكرة، ما كانت في إطار حدودها وإمكاناتها. بالتالي المعروف والمنكر ليسا من أوصاف الطبيعة. فما الذي بقي؟ بقي ما وراء الطبيعة. لا يمكن أن يكون ذلك من نفس الإنسان، لأن النفس هي التي عليها واجب معرفة المعروف كمعروف، والعجاجة المذكورة لها نفوس أيضاً وهي لم تعرف المعروف ولم تنكر المنكر. فلا يبقى إلا أنه يوجد مستوى في الوجود فيه المعروف والمنكر، والنفس إما تصيب ذلك وإما تخطئه. هذا المستوى إما يبقى في تعاليه وإما ينزل في صورة رسالة ومن ذلك القرءان. لكن لمّا كان القرءآن سيرتفع في آخر الزمان، ولن يعرج أحد من الناس لمستوى معرفة المعروف والمنكر، وسيخلدوا إلى الحسيات والشهوات، وينسوا ذكر الله الذي هو وسيلة التنوير، فالنتيجة ستكون كما قال النبي {لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً}. فالمعروف شيء تعرفه على ما هو عليه وليس شيئاً تخترعه بذهنك واعتبارك. كما أنك تعرف الشمس ولا تخلقها، كذلك تعرف المعروف ولا تخلقه.

٣-الحرية. لأن النبي قال {لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع ابن لكُع}. اللكع "أصله العبد. ثم استعمل في الحمق والذم" كما قال المعلّق على الأصول التسعة. فأول وصف العبودية. ولا تكون إلا عبودية للبشر أو للطبيعة. إذ عبودية الله عزّة ولا تقترن بالحمق والذم، بل بالحق والحمد.

٤-العقل. لأن اللكع أحمق. فكانت صفة العقل مضادة له.

٥-الأدب. لأن اللكع مذموم فضدّه المحمود، وذلك بالأخلاق الحسنة.

فنخلص إذن إلى خمسة أوصاف تبقى بها الأرض وتحدد نوعية خيار الناس: الذكر والشريعة والحرية والعقل والأدب.

وقد نرى فيها تناظراً مع عناصر الطبيعة الخمسة التقليدية. الأثير والماء والهواء والنار والتراب. فالذكر هو الأثير، لأنه المجرّد الجامع. والشريعة هي الماء وذلك من اسمها وطبعها الذي تحيى به النفوس الطيبة بالمعروف والطوفان على منكرها باتباع المنكر فالماء له وجه نافع ووجه ضار كالمعروف والمنكر. والهواء للحرية إذ الحرية سعة وانطلاق وهي الهواء الذي تتنفسه الروح وبدونه تختنق وتتعذب وتموت. والنار للعقل إذ له حرارة الحركة بالفكر والإضاءة لما حوله من الوجود وفيه يتكلّم الله كما تكلّم في نار موسى كما قال علي "كلّمهم في ذات عقولهم". والتراب هو الأدب لأنه عليه تنبت الأخلاق الحسنة بألوانها وثمارها الكثيرة الطيبة، وكذلك لأن تذكّر الموت والدفن في التراب أساس هذم اللذات الداعية إلى سوء الأخلاق فالغضب يهدأ حين تتذكّر أصلك الترابي والشهوة تنضبط حين تذكر ما بعد نزولك في التراب للدفن والمكارم تنشأ من تذكر فناء الدنيا فالجود بها وإبقاء المال لعاقبة الأبد أفضل. هذه بعض الاعتبارات ويمكن رؤية غيرها بإذن الله.

فالطبيعة على خمسة عناصر، والديانة على خمسة عوامل. فإذا ذهبت الديانة بطلت روح الطبيعة لأن الإنسان هو الخليفة وهو من العالَم كالروح من الجسد وإذا ذهبت الروح كان دفن الجسد من إكرامه فتقوم القيامة على ذلك ليتجدد إشراق الأرض بنور ربّها.

...

مشروع كتاب: مصادر استدلال ابن عربي في كتابه فصوص الحكم.

الفكرة: استقراء تام لكل نصوص الفصوص، مع الاستعانة بالشروح في حالة الإبهام، لاستنباط واستخراج وترتيب كل الأدلة التي اعتمد عليها ابن عربي أثناء ذكره لما ذكره من معاني. فيخرج لها منهجه في الاستدلال وبناء الأحكام العرفانية.

مثال: قال في المقدمة أنه رأى رسول الله فأعطاه كتاب الفصوص. هذا دليل على أنه يعتمد الرؤيا في أخذ العلم. فنقول { الدليل الأول: الرؤيا } فنفتح فصلاً خاصاً بدليل الرؤى، ثم نقرأ الفصوص كلّه بحثاً عن رؤى اعتمدها ابن عربي لتدعيم قوله.

وهكذا كلما مررنا على دليل نفتح له فصلاً، ثم نقرأ سطراً سطراً وننظر في الأدلة المذكورة ونُلحق الأمثلة بفصولها. هذا لا يعني قراءة الفصوص كله من أجل استخراج أمثلة دليل واحد، ثم قراءته مرّة أخرى لاستخراج أمثلة الدليل الثاني، وهكذا. كلا. بل هي قراءة واحدة، ختمة

واحدة، بهدوء وتأمل، تكفي إن شاء الله لاستخراج كل أدلة ابن عربي التي نص عليها واستعملها.

يمكن صناعة هذا الكتاب على ثلاث مستويات:

المستوى الأول: المختصر. أو الاقتصار. بحيث نذكر الأدلة فقط. فيكون مقالة مختصرة أو كتيّب مثل متن الورقات في أصول الفقه، فنسمّيه متن الورقات في أصول العرفان مثلاً. فيكون فيه {الدليل الأول: الرؤيا}، {الدليل الثاني: القرءان}، وهكذا. ويمكن أن يوضع مع كل دليل شرح مختصر وبسيط مع مثال واحد فقط ليتجلى المقال بالمثال.

المستوى الثاني: الوسيط. أو الاقتصاد. فنذكر الأدلة مع أكثر من مثال مع شرح كيفية استعمال ابن عربي للدليل في هذا المثال. وشيء مما يبرهن على صحّة هذه الأدلة بحسب العقل والقرءان والسنة مما لم يذكره ابن عربي لكن يكون فيه شيء من التعزيز له.

المستوى الثالث: البسيط. أو الاستقصاء. فنذكر الأدلة مع كل الأمثلة الواردة، مع تحقيق كل مثال وعلاقته بالدليل، وذكر كل الاعتراضات الممكنة على استدلال ابن عربي، ثم نذكر بيانات الشرّاح والردود الممكنة بحسب ما يُفتح علينا.

صناعة أخرى للكتاب: مقالة مختصرة تذكر الأدلة فقط. ثم كتيّب فيه الأدلة مع بعض الأمثلة الظاهرة لها. ثم كتاب فيه الأدلة مع كل الأمثلة مستقصاة من نصوص الفصوص بحيث لا يشذّ عن الكتاب شاذّة.

...

الفاتحة جامعة للسان العربي. فإن فيها الاسم والفعل والحرف. وفي الاسم ذكرت اسم الخالق والمخلوق وما بينهما. وفي الفعل ذكرت الماضي والمضارع والأمر. وفي الحرف ذكرت حروف المعاني ذات الحرف الواحد والاثنين والثلاثة فذكرت المفرد والمزدوج والجمع أو الواحد والشفع والوتر فما بعد ذلك من تركيبات تكون فروع لها.

...

حين علل الله غلبة المؤمن لعشرة من الذين كفروا قال {ذلك بأنهم قوم لا يفقهون}. فبيّن أن الفقه قوّة. وهذا حق. ففقه الباطن يجعل للإنسان همّة تتصرّف في العالَم كنوح الذي غيّر وأثّر في العالَم بهمّته ودعائه. وفقه الظاهر يجعل للإنسان سلطة تتصرّف في العالَم كعلماء الفيرياء النووية الذين صنعوا قنبلة واحدة تستطيع أن تجعل إنساناً واحداً يغلب مائة ألف أو يزيدون بضغطة زرّ ورمي شيء والرمي هو القوة كما قال النبي. فالفقه سبب القوّة ظاهراً وباطناً.

...

الفقه أحكام عملية لأن عصيان الله سبب خروج ءادم من الجنّة، وإبليس كان يعرف ربه وخالقه وفعله وأمره لكن ما فقده هو طاعته. بالتالي طاعة الله سبب الرجوع إلى الجنّة. والأحكام العملية وسيلة طاعة الله. فمن حسن فهم أو فقه الأمّة تسمية معرفة الأحكام العملية بالفقه.

...

لماذا جعل الفقهاء الطهارة أوّل أبواب الفقه؟ لأن أوّل الدين تمييز الأشياء ما بين مقبول ومرفوض، لأن عدم الدين يعني المذهب الحسّي البحت والذي فيه لا يوجد تمييز بل الحس يقضي بمساواة الأشياء المحسوسة من حيث أنها محسوسة وحسب، فلا يحكم عليها بخير أو بشر لأنها من حيث الواقعية واحدة، والحكم الوحيد عليها يكون من حيث الملائمة للمزاج وعدمه، أو اللذة والألم. التمييز ما بين أحكام الحس وأحكام النفس أوجب التمييز ما بين أمرين في النفس كما أنه يوجد تمييز ما بين أمرين في الحس أي اللذة والألم. فكانت الطهارة والنجاسة للنفس مثل اللذة والألم للحس. فكما أن الجسم من حيث واقعيته واحد ويمتاز بحكمي اللذة والألم، فكذلك النفس من حيث واقعيتها واحدة وتمتاز بحكمي الطهارة والنجاسة. فيكون الطاهر سبب للاتصال (لذلك بعد باب الطهارة باب الصلاة)، والنجس سبب الانفصال، لأن سبب تسوية النفس راجع إلى اتصالها بربّها "ارجعي إلى ربّك"، فحتى يتبيّن للمؤمنين هذا المعنى كان باب الطهارة أول الفقه. "قد أفلح مَن زكّاها". لذلك باطن أحكام الطهارة الفقهية هو الطهارة النفسية. مفتاح طهارة النفس تمييزها عن الحس والجسم والطبيعة.

فإذا حصل التمييز، ما بين النفس والحس صار النفس مُعلّقة تبحث عن ربّها لتتصل به. ولذلك يأتي بعده كتاب الصلاة الذي يبيّن الاتصال بالله بأنواع الاتصال المختلفة لأن لله الأسماء الحسنى والدرجات الرفيعة والتجليات الكثيرة.

فإذا حصلت الصلة بالله، امتلأت النفس بفيضه تعالى، فيأتي باب الزكاة، لأن النفس المتصلة بالله تصبح خليفته ومظهر عطائه في العالَم، والزكاة إخراج ما عندك مما حصل لك من عنده تعالى حتى تتزكّى من نسبة الربوبية إلى نفسك وترجع إلى أصل فقرك إليه تعالى، ولأن الامتلاء قد يدفع النفس للاستغناء عن مزيد من الاتصال فتُعرض عن ربّها وتُقبل على ما دونها فتتزكى من ذلك عبر إيتاء ما لها لتأخذ المزيد من ربّها إذ سعادة النفس في صلتها بربّها وأخذها عنه.

فإذا أعطت النفس ما أُفيض عليها، دخلت مرحلة كتاب الصيام، لأن النفس ستجد من اللذة في قبول الفيض من الحق والإفاضة على الخلق ما يجعلها تُعرض عن مشاغل الحس الأعلى كاللفظ وهو الصوم أو الحس الأدنى الذي هو الطعام والجماع، فتطلب المزيد من التجرّد عن المحسوس فيمدّها ربّها بأحكام الصيام والصوم حتى تشتغل بإطعام الله عن طعام الطبيعة وبكلام الله عن كلام الخليقة.

فإذا شعرت النفس بسعادة الخلافة العالية وعكفت على باب الله، دخلت مرحلة كتاب الحجّ، وهي فتح الله الباب للنفس حتى تلج داخل الحضرة وتسكن في بيت الحق فتكون من أهل البيت لا مجرد سائل من خارج البيت، فتصل إلى معدن العظمة والوحي ويستقرّ قلبها عند مصباح النور الإلهي.

فإذا صارت النفس حقّاً بصيرورتها مظهراً لمعدن الحق، دخلت مرحلة كتاب الجهاد، حتى يقذف الله بها على باطل العقليات وظلم الإرادات فيدمغه بها.

فإذا انتصرت وصارت بين نفوس مسلمة لله تعالى، دخلت مرحلة كتاب الأيمان والحلف بالله، لأن اسم الله سيكون أعظم شاهد على ما في النفس وتستعمله كثيراً في أمور مختلفة إذ ثمرة الجهاد ظهور اسم الله في الأرض وكونه الحجّة الكبرى في كل عمل وشأن، فتأتي أحكام الأيمان لتبيّن أبعاد هذا الأمر.

بعد مرتبة الاسم الإلهي تأتي مرتبة وعد النفس بإيجاد شيء في حال حصل مرادها، وهو كتاب النذور، فالنفس باقية على عبوديتها لله تعالى وتعرف أن الملك له سبحانه، لكنها تعرف قدرها عند ربّها ولذلك تنذر إن تحقق مرادها في أمر ستفعل أمراً لم تكن لتفعله بدون ذلك، وهذا بالأخصّ للنفوس التي تحبس ما فيها من الخير إلا بنحو المعاوضة والمتاجرة مع ربها، فهذه النفس تميل إلى اعتبار الفارق بينها وبين ربّها وإن كانت ترى الصفات التي أفاضها عليها، فلا تريد إخراج ما فيها إلا بشرط وضع أمر آخر فيها يعوّضها على ما ستفقده بالإخراج، فتسعى للحفاظ على ما في نفسها بإخراجه بشرط العوض وهو النذر، وفي النذر بيان لقيمة كلمة النفس كما أنه في باب الأيمان السابق بيان لقيمة اسم الله في نفس، لأن النذر وعد بإحداث شيء فهو بيان قيمة الإرادة المعبّر عنها بالكلمة سواء كانت حديث نفس أو خارج النفس، بينما الأيمان بيان قيمة العقل الذي يرى اسم الله عظيماً لا يستعمله إلا بحق،

فالأيمان باب يتعلّق بالعقل والنذور باب يتعلّق بالإرادة وكلاهما يتعلّق بالله تعالى، لكن لما كان العقل أشرف وأولى من الإرادة إذ هي تبع له قُدِّم كتاب الأيمان على كتاب النذور.

بعد العقل والإرادة من النفس في علاقتهما بالخالق تأتي علاقة النفس بما يتبعها من المخلوقات، وهو كتاب الضحايا، فكما أعطت اليمين بالاسم ثم أعطت النذر بالفعل فهنا تعطي الأضحية وهي مال تابع للنفس اكتسبته بجهدها ووقتها تقرباً لله عبر التجرّد من المُلك له وظهور بالفقر أمامه واعتراف بأن فعلها في العالَم وما تكتسبه إنما هو منه له سبحانه.

ثم يأتي باب الذبائح ويتعلّق باطنه بالحسّيات التي تجد النفس أنها سبب لغفلتها عن الله. وكذلك كل صفة ذميمة مكتسبة من معاشرة الخلق والسكن في الطبيعة مما يحجب أثر الروح، فيتخلّص منه.

ثم كتاب الصيد وباطنه عن نظر النفس في العالَم لاصطياد الصور التي بتأويلها تعرف الحكمة الإلهية الكامنة فيها.

ثم كتاب العقيقة وباطنه تابع للصيد لأن بعد الصيد يحصل العلم بالتأويل ثم إفاضة علم التأويل بالكلمات التي هي المولدات من النفس وكل كلمة ولد للنفس فتوضع الأحكام لهذا الولد حتى يُذكَر الله فيه ويكون مَثلاً على الغيبيات والروحانيات حتى لا تضل النفس باعتقاد ربوبيتها من جهتين، الأولى أنها تلد بينما الله لا يلد، والثانية أنها كلماتها مقيدة بالأحكام بينما كلمة الله أعلى من كل الأحكام بل لها الحاكمية.

ثم كتاب الأطعمة والأشربة وباطنه تابع لكتاب العقيقة، لأن العقيقة عن كلمة النفس ذاتها، بينما الأطعمة والأشربة ما تستفيده النفس من كلمات غيرها من النفوس، فالأطعمة كلمات الفكر التي تحتاج إلى هضم ومعالجة لتُفهَم ويميّز الصواب فيها من الخطأ مع كثرة المغالطات والأغلاط، والأشربة كلمات الذكر المتعلّقة بالواحد البسيط سبحانه وتعالى بينما الأطعمة تتعلّق بالخلق لأنها مركبة مختلفة مثله.

فإذا رأت النفس وجود نفوس غيرها فيهم نور الذكر والفكر واستفادت منهم واستفادوا منها، طلبت الرابطة بينها وبين هذه النفوس لميل كل شيء إلى شبهه وحتى تعرف الله بالأحدية حين

ترى ذاتها في الكثرة ووجود الأكفاء لها بينما الله ليس له صاحبة ولا كفو، فتدخل من باب النكاح لذلك. "وإذا النفوس زُوِّجت".

لكن لمّا كان بين النفس وغيرها تشابه وتنافر، وكانت النفس مستترة عن النفوس الأخرى ولا تتبيّن جميع أبعادها إذ النفس غيب والغيب لله بالأصل وهي لا تعلم الغيب بذاتها وما كان الله ليطلعها على كل الغيب حتى يمتاز العابد من المعبود والعليم من المتعلّم، شرع لها باب الطلاق حتى تنفكّ من الرابطة التي تشغلها عن ربّها بالكدر والنكد والظلمة والنار. وكذلك لما كانت بعض النفوس ستُعلّم نفوس أخرى، شرع النكاح كارتباط باطني بينها كالرابطة بين الشيخ والمريد بالروح، لكن لمّا كان العصيان ممكناً كما حصل بين موسى ومعلّمه شرع من رحمته الطلاق والفراق حتى لا يحمل مُعلّم على متعلّم فوق ما يطيق ولا متعلّم مع معلّم ما لا يطيق ولا يصبر عليه. وللطلاق مراحل عبّر عنها بكتاب الإيلاء والظهار واللعان والإحداد وبقية تفاصيله فكانت مندرجة تحته. وكلها تدور على فك الرابطة بين النفوس المسماة بالنكاح، والفك له مقدّمات ونهايات فصّلتها هذه الأبواب.

النكاح والطلاق رابطة تعليم باطني وتبادل كلمات على أساس الولاية والإيمان بصلة النفس بربها في الطرفين جميعاً، لكن قد يحصل تبادل كلمات وأفكار ليس على سبيل الإيمان بالولاية الخاصة بل بناء على حرمة النفوس العامّة وكونها مُلهَمة بأصل الفطرة وفيها الدين القيّم وحقائق التقوى والتزكية والفلاح، فشرع باب البيوع لذلك. فالنكاح للنفوس التي تتولى بعضها بعضاً بالولاية الخاصّة الإسلامية، والبيع للنفوس التي لا تتولى بعضها بعضاً بالولاية العامّة الإنسانية، وفي كل منها خيرات الكلمات والحكمة والمعلومات. وتحت البيع توجد أصناف كثيرة وتفاصيل تابعة له وضرب أمثال عليه وكثرت تفاصيلها ومسائلها لأن الولاية كلما كانت أبعد كلما كانت الظلمات أقرب فوجب التمييز والتصفية فكانت التفاصيل واجبة رحمة بالنفوس المتعلّمة، فجاءت كتب الصرف والسلم والخيار والمرابحة والعرية والإجارات والجعل والقراض والمساقاة والشركة والشفعة والقسمة والرهون والحجر والتفليس والصلح والكفالة والحوالة والوكالة واللقطة والوديعة والعارية والغصب والاستحقاق والهبات والوصايا والفرائض. كل هذه تفاصيل في كيفية إيصال كلمة نفس لنفس أخرى ليس بينهما رابطة الولاية الخاصة، بل بوسائط وشبهات وتشكيك وغير ذلك من أبواب الحذر والخلاف الممكنة.

ثم لمّا كانت النفوس ظاهرة بالخلافة والخلافة لها وجه ولو بالشبهة إلى الربوبية، فإن النفس قد ترغب بالسيطرة قهراً على نفس أخرى لأنها تريد رؤية معنى "وهو القاهر فوق عباده" في ذاتها، وهذا من ظلمها، لذلك قال "لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً"، فلمّا كانت النفوس قد تأمر بالسوء وتقهر النفوس التي مثلها شرع باب العتق لتحرير النفوس من مثلها لكي لا تتعلّق قهراً إلا ببارئها، وشرع باب الكتابة كوسيلة لتحصيل القاهر الجاهل الذي أنفق شيء من ماله ونفع مَن استعبده في شيء لكي يستردّ أصل ما أنفقه مما ينفصل عن نفس الاستعباد وكذلك كوسيلة بأقلّ أضرار ممكنة لحلّ هذه الطامة النفسية التي هي الاستعباد والقهر، وشرع التدبير كذلك حيث يكون التحرير بغير الكتابة ممكناً أيضاً، ففتح أبواب التحرير السلمي محاولة للحفاظ على النفوس الراغبة في التحرير لكنها الطامعة في استرداد ما أنفقته أثناء فترة الاستعباد الجاهلي، وكذلك باب أمهات الأولاد، كل ذلك لأن الحرية من الخلق هي الأصل في النفس، وكل ما خرج عن أصله لابد من ردّه إليه سلماً إن نفع وحرباً إن لم ينفع كما قال " ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا" وكذلك موسى مع فرعون حيث سعى لتحرير بني إسرائيل سلماً وبالآيات فلما لم ينفع أخرجهم ليلاً وأهلك الله عدوهم الطاغي حين لحق بهم، فالحرية من الخلق سلماً من باب الرحمة وحرباً من باب الواجب هي فرض عين على كل نفس لها أدنى درجة من الاستطاعة ولو بالدعاء والكره بالقلب مع السعي لما فوق ذلك من وسائل التحرير.

وتبعاً للإرادة الظالمة للنفس بقهر النفوس الأخرى تشبهاً بالظلم ببارئها القاهر فوق عباده إلا أنه لا يظلم الناس شيئاً، فهذه النفس الظالمة قد تجني على نفوس أخرى سواء بالكلمات أو بالمحسوسات إذ البدن درع النفس وهو تابع لها وهي متجلية به، فشرع باب الجنايات والقصاص والجراح والديات في النفس وفيما دون النفس والقسامة حتى تكفّ النفوس عن ظلم بعضها البعض بل تسلم وتنتظر كل واحدة إلى بارئّها وتعقل أمره وشؤونه.

فإذا سلمت النفوس واستقرّ حالها تذكّرت أن لها أجلاً إذ "كل نفس ذائقة الموت"، فلما كان من حكمة الله استمرار العالَم كمرآة لمعرفته سبحانه شرع النكاح من قبل لظهور النفوس من النفس كالنيران من الشمعة الواحدة، لكن من مظاهر العدوان على النفوس البريئة القادمة للعالَم بواسطة النكاح هو الإتيان بها بنحو يجعلها مضطربة في عيشها فشرع باب الزنا وهو نوع من العدوان على النفس المتولدة عن الجماع بين نفسين. لكن ما وجه عدوانه؟ ليس اللذة

الحاصلة من الجماع فاللذة خير. وليس عدم معرفة الأب إذ لا ينشأ عن ذلك شيء بدليل قد تولد النفس لأب قد مات حتى قبل ولادته كأن يجامع فيُخصِّب ثم يموت أو قد يضيع الأب في متاهة بل وكذلك الأم نفسها بعد الولادة. الأساس يرجع إلى كلمة الله، فالزنا كل كلام بين نفسين لا يشتمل على كلمة الله، فهي الكلمة المتعلقة بالمخلوقات فقط أو بالوهميات حصراً. كل حوار بين نفسين بدون كلمة الله وليس عن الله فهو نوع من الزنا. وهو نوع عدوان على النفس من حيث أن سعادتها في صلتها بربّها وتعقل كلامه. ويتبع ذلك باب القذف لأن القذف أن تتكلّم النفس بالحق وبكلام الله فترميها بأنها تتكلّم بالباطل وبكلام الشيطان مثلاً مثل قولهم عن القرءان "تنزّلت به الشياطين" أو "إن هذا إلا قول البشر". باب شرب الخمر أيضاً نوع من ظلم النفوس لأن العقل أساس النفس فإذا تغطّى بطل جوهرها الذي يربطها بربّها وفسدت قوتها على العلم وهو أعلى شأنها وحكمة خلقها.

ثم كتاب السرقة، وهو أن تنسب كلام غيرك لنفسك زوراً. وأصل ذلك أن تنسب ما في نفسك من كمالات إلى ذاتك بدلاً من رؤيته كفيض من ربّك.

ثم كتاب الحرابة، وهو أن تجادل أهل الحق بالباطل، وتسعى لإبطال قيمة الكتب التي أظهرها النفس المستنيرة بمنع انتشارها في الأرض أو بأمر الناس بعدم قراءتها والاستماع لها قطعاً لطريق سير الكلمة في الأرض. فكل مَن وقف في وجه الكلمة بمنع انتشارها قهراً فهو محارب. وضدّ الحرابة حرية التعبير.
ثم كتاب الأقضية، فبعد أن تبيّن كل نفس ما عندها من الكلمات والحجج، على النفوس المستقبلة لرسائلها محاكمة كل مسألة إلى براهينها والحكم على كل قضية علمية أو عملية بحسب بيّناتها وليس بالهوى ولا بالتعصب ولا بأي معيار آخر غير البيّنة، فيتم تحكيم العقل للفصل في قيمة الكلمات المطروحة من حيث نسبتها إلى الحقائق العلمية والحقوق العملية.

وبعد القضاء يتبيّن الحق فتقبله النفوس وتسلّم له، فتعيش عيشة هنية بقدرتها على القول بحق {أنا الحق}. وهذه الثمرة العظمى للفقه.

...
لماذا استسقى عمر بالعبّاس عم النبي؟ لأن الاستسقاء طلب معلّم حي في الأرض، والنبي حي في السماء وعامّة الناس لا يصلون إلى السماء للأخذ عن النبي ماء العلم الإلهي.

فاستشفع عمر بالعبّاس من حيث هو عمّ النبي أي له نسبة إلى النبي، فسرّ الاستشفاع هو هذه النسبة النبوية التي يصلّي الله وملائكته عليها بالنور وماء الحياة الأبدية.

...

لا يوجد مفهوم "ولد الحرام" في القرءان. بل هو من الظلم الصريح، لأنه في تحميل وزر الوالدين على الولد البرئ. ثم لو عددنا "أولاد الحرام" في الصحابة لعجزنا، لأن السفاح كان في الجاهلية أحلّ من ماء زمزم. ولا يقال بأن الفعل ليس له حكم قبل نزول الشريعة المحمدية، وإلا لما احتاج النبي إلى نفي أنه وُلد من سفاح ويثبت أنه ولد من نكاح ولم يكن ثمّ شريعة محمدية حينها حتى يمتاز النكاح من السفاح فيكون السفاح مذموماً والنكاح محموداً، بل قول النبي هذا ذاته وتكفيرهم لمن ينسب النبي بل أحد من والدي النبي إلى السفاح يدل على أنهما متمايزان حتى قبل نزول الشريعة تمايز الصورة وتمايز القيمة. ثم لو كان لا حكم للأعمال قبل نزول الشريعة، فما بال القرءان يذمّ عمل الكفار السابق على نزوله، ولماذا يحاكم القرآءن الأمور إلى أي معيار غير مجرّد قول "أنا قول الله " وانتهى الأمر فلماذا يذهب إلى السؤال عن البرهان والعلم والتناسق بين الأحكام على الشيء الواحد وغير ذلك من الاعتبارات والتعليلات التي يفيض بها. كلا. في النفس يوجد الإلهام بالتقوى والفجور، والدين القيّم في الفطرة، والروح منفوخة في بني ءادم. هذه هي الشريعة الباطنة المساوقة للنفس. من أجل مخالفة هذه الشريعة وإعراض أكثر الناس عنها، نزلت الشريعة الظاهرة للتذكير بها والتفريع عليها. لا يوجد في كتاب الله حكم على إنسان بأنه ولد حرام، أو ابن زنا، أو نحو ذلك، فضلاً عن نسبة مثل هذا الإنسان إلى خبث الطبع وسوء المصير وغير ذلك مما تجده في مرويات الجاهلين والذين هجروا كتاب الله ظاهراً وباطناً. الحق أن العبرة بالإنسان نفسه، والنفس سواها الله وهي تابعة لنفس الله، وأما البدن فأيا كان مصدره وحاله فلا عبرة به في الحقيقة والآخرة، "فلا أنساب بينهم يومئذ" ففي حكم الحق لا أنساب و"لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله"، فأيا كانت أنساب الأبدان فهي فانية وباطلة، والعبرة بالنفوس والنفوس من الله لا من النكاح والسفاح اللذين ينتجان البدن لا أكثر.

...

قالت: ايش الفرق الجوهري بين الاستفتاح بالقرآن والتارو؟

قلت: القرءان كلمة والتارو صورة والكلمة أكثر معقولية ودقة في وضوح الإجابة المطلوبة بينما التارو صورة وتفسيرها أكثر عُرضة للتلوث بذهن المُفسِّر.

ثم القرءان يتعلق به من هم أكثر طهارة وقرباً من الله بينما التارو قد يغلب على أصحابها الوثنية أو الشرك أو التعلق بالطبيعة. كلما ازدادت طهارة القلب المُستَفتِح كلما ازدادت دقة ومصداقية الفتح.

الجوهر المشترك أن الله تعالى يختار على يد المُستَفتِح النتيجة ويلهمه الإجابة. مثل قرعة كفالة مريم ومساهمة يونس، اختار الله النتيجة على يد المقترعين والمساهمين وكذلك هنا على يد المستفتحين إن شاء سبحانه.

وهذا فرق آخر أن أهل القرءان يدعون الله ليسدد الفتح بينما أهل التارو عادة لا يفعلون ذلك.

قالت: هل في أدعية معينة تنصح بقراءتها عند الاستفتاح ولا الاكتفاء بالبسملة؟
قلت: بسم الله الرحمن الرحيم. إن ربك هو الفتاح العليم. بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم. رب افتح لي بالحق وأنت خير الفاتحين. اللهم صل وسلم على النبي وآله.

ثم انفخي البسملة على يدك وافتحي على بركة الله.

أهم ما ينفع بإذن الله ذكره هو البسملة وآية "إن ربك هو الفتاح العليم" فهي الآية التي ذكر ابن عربي أنها مفتاح خزائن القرءان.

ثم قلت بعدها: نسيت أكتب لك الدعاء الكامل الذي انفتح لي في موضوع الاستفتاح. ليس بالضرورة قولها كلها، لكن أحياناً حين يهمني الموضوع جداً أستعمل الموضوع.

هذا الدعاء:
اللهم أنزلت إلينا كتابك فيه هدى ونور وشفاء لما في الصدور، وجعلت فيه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء، وأمرتنا أن نهتدي بهداه ونستضيء بضوئه، فاللهم اهدني به وافتح لي وبيّن لي بياناً شافياً كافياً تامّاً.

أقول ثم قل بعدها وقبل الفتح مباشرة: اللهم خِر لي واختر لي فأنت ربّي.
...

قال: فيه خاطرة انت كاتبها "ما هو القرءان؟ هو شرح سفر النقطة من تحت الباء إلى فوقها، فهو تحول الباء إلى نون".

وفيه واحدا تانية بتقول "إذا صارت الباء نون قيل عن الإنسان مجنون".

ممكن تبسيط؟

قلت: الباء عرش الربوبية، والنقطة تحتها هي العبد، والنون حين يصبح العبد خليفة الله وينطق بكلام الله "ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون".

...

{الذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين} لماذا الكتاب والصلاة؟ الكتاب كلمات، والكلمات دوال، والدوال معرفتها بحسب معرفتك بالمدلول، والمدلول هو الوجود، فلابد من اتصال بالوجود حتى تحسن فهم الكتاب والاتصال بالوجود الذي يدل عليه كتاب الله يتم بوسيلة الصلاة التي هي المعراج والشهود ومحل المناجاة ولقاء الله. فالكتاب دال، والصلاة وسيلة المدلول، فمن جمع بين الكلام والواقع فقد صلح في نفسه وكان وسيلة لإصلاح غيره.

...

العائلة: هي التي تعبّر عن رأيها ولو كان عليك لكنها تحترم اختيارك وتعاونك عليه.

...

أربعة معاني للنفس: الوعي والفردية والعقل والإرادة. كل ما يزيد في هذه الأربعة ويحسّنها فهو الخير، وإلا فهو شر. هذه الأربعة مفارقة للبدن، ولا يمكن تحققها كامل التحقق في الطبيعة. ولذلك تشعر النفس بالغربة في الطبيعة. وبما أننا وجدنا أبداننا من جنس الطبيعة، لكن نفوسنا من غير جنس الطبيعة، فعرفنا أن نفوسنا من عالَم ما وراء الطبيعة. العقل يريد معرفة كل شيء، والإرادة تريد التحقق بغير واسطة، كلاهما مستحيل في الطبيعة وعبر الطبيعة ذاتها، لأن كل معرفة بالطبيعة نسبية ومقيدة وظنّية مهما قوي الظنّ، وتحقيق الإرادة مطلقاً للإنسان يستحيل في الطبيعة فضلاً عن استحالته بغير واسطة، فتمام تحقيق مراد العقل والإرادة مستحيل في الطبيعة. لكن لمّا وجدنا أن كل رغبات البدن لها في الإمكان الواقعي أو التحقق الفعلي ما يلبّيها في الطبيعة، فأعضائنا لها ما يلبّيها من الموجودات الموضوعية في الطبيعة، عرفنا حين نظرنا في أنفسنا فوجدنا العقل والإرادة بل والوعي والفردية أنه يوجد ما يلبّي رغباتها في عالَم ما، فحيث أن هذا العالَم ليس الطبيعة فهو ما وراء الطبيعة. بما أن المطلق في العقل والإرادة يستحيل وجوده في الطبيعة التي كل ما فيها مقيد ونسبي، فالعالَم المطلق الذي يلبّي حاجة النفس هو عالَم غير وفوق الطبيعة. وبما أن للنفس وحدة بينما

كل ما في الطبيعة كثير، عرفنا أن النفس لم تتولد من الطبيعة إذ الشيء لا يعطي ما يفقده ولا فوق ما يشتمل عليه ولا يوجد في أشخاص الطبيعة ما يناسب إعطاء حقيقة النفس، فعرفنا أن لها مبدأ ما فوق الطبيعة (وهو ما قال عنه الرومي عن شيخه "الروح من نور عرش الله مبدؤها". فقوله "الروح" مفرد ومجرّد ويشير إلى الوعي، وقوله "من نور" يشير إلى العقل، وقوله "عرش" يشير إلى الإرادة إذ العرش مصدر إرادة الملك، وقوله "الله" يشير إلى مبدأ النفس). هذا معنى "معنى الحياة"، فالحياة ليس لها معنى بدون الله والآخرة والإيمان بالروح والنفس، لأننا نجد حاجة نفسنا لا تُلبّى في الطبيعة، حتى لو كنا أسعد الناس في الحسيات والشهوات والمتلكات بل مصيبة نفوسنا أكبر إن كنّا أسعد الناس في هذه الأمور لأن التمايز حينها بين حاجة البدن وحاجة النفس سيظهر بشدّة وحِدّة وبالتالي بغض الطبيعة سيزداد أو كراهية الحياة والكآبة فيها.

الدين جاء من أجل حماية وزيادة أصول الوعي والفردية والعقل والإرادة:

فمن أجل أصل الوعي، جاء القرءان بالأمر حتى بقيام الليل، والنهي عن شرب الخمر مثلاً. فكل ما يزيد في الوعي ويبسطه خير، والعكس شر.

ومن أجل أصل الفردية، جاء القرءان بالنهي عن الإكراه والأمر بالشورى والتنبيه على المصير الفردي و"ألا تزر وازرة وزر أخرى".

ومن أجل أصل العقل، جاء بالأمر بالعلم والبرهان والتفكر والنهي عن التقليد والتعصب والهوى.

ومن أجل أصل الإرادة، جاء بالأمر بالعمل والجهاد والدعاء والإيمان بنصر الله.

حين يعرّف الإنسان نفسه ببدنه، فالعواقب سيئة دنيا وآخرة. أما الآخرة فمعروف، وأما في الدنيا فمما ينشأ وأخطر ما ينشأ العصبية. فيصبح اللون والنسب والمنشأ واللغة وبقية الاعتبارات البدنية هي معيار الحكم على الإنسان. بينما إذا عرّف الإنسان هويته بالنفس لا بالحس، فحينها يمكن التقريب بين الناس والتفاهم والتآخي، لأن كل الناس لديهم أصول الوعي والفردية والعقل والإرادة، وجوهرها واحد في الكل. فالنفس واحدة والأشخاص كثر، والعقل في نفسي مثل العقل في نفسك وحين أجهل مثل حين تجهل وحين أتعلّم مثل حين تتعلّم، وكذلك الإرادة حين لا تتحقق إرادتي أشعر بالألم مثل ما تشعر أنت حين لا تتحقق إرادتك، وكذلك أُريد معاملتي بكرامة الفردية وأكره مثلك التعامل معي على أساس ربطي وضمّي إلى أي جماعة أو لون أو أي تصنيف آخر لا يتعلّق بي كفرد. وهكذا في الوعي، فإنه

مجرّد وشاهد، بغض النظر عن ما يشاهده، لكن جوهره واحد وهو عينه فيك. فنحن من حيث النفس أمّة واحدة، ومن حيث الحسّ شعوب وقبائل وألوان وألسنة. فكلّما اقتربنا من أصل النفس ازداد اجتماعنا وسلامنا، وكلما اقتربنا من أصل الحس ازداد افتراقنا وحربنا. فالذين ينكرون أصل النفس هم أعدى أعداء الإنسانية، وأعظم مُشعلي الحروب والفتن فينا. معرفة النفس إذن ليست لغرض أخروي بحت، بل ولأغراض دنيوية أيضاً. أي لها منافع أبدية ومصالح زمنية.

...

قال الملحد: لماذا أطيع الإله حتى لو عرفت أمره؟ الإله شخص مستقل وأنا شخص مستقل، وأمره يعبّر عن رأيه، وأنا لي رأي آخر وذوق مختلف، وأحكام هذا الإله ستكون ذاتية غير موضوعية، بالتالي تخصّه هو ولا تخصّني أنا، فلا يوجد سبب موضوعي يجعلني أطيع أمره.

أقول: بل أمر الإله الحق موضوعي لا ذاتي بحت. لأن أمره مبني على علل، والعلل تتعلّق بالوجود الواقعي، لأنه توجد روابط بين الأسباب والآثار، بين الأعمال والعواقب. والأمر كاشف عن العلاقة ما بين العمل والعاقبة الحسنة، كما أن النهي كاشف عن العلاقة ما بين العمل والعاقبة السيئة. والحسن والسوء يتعلّق بنعيم النفس وعذابها، ولذّة الحس وألمه، في الواقع. فكما أن إيلام البدن شر ينبغي تفاديه، كذلك إيلام النفس شر ينبغي تفاديه. ففيما يتعلّق بمصير النفس وأحكام الدار الآخرة، الأمر والنهي يكشفان عن علاقة عمل النفس في هذا العالم وعاقبتها في ذلك العالَم، بل حتى عاقبتها في باطنها في هذا العالَم، بل وأحياناً حتى عاقبتها في ظاهر هذا العالَم. الوجود الموضوعي هو ما يحدث فعلياً في الواقع الخارجي المستقل عن اعتباراتنا الذهنية، مثل حرارة الشمس ومغص المعدة. فإذا عرفنا أسباب الاحتراق بالشمس فالواجب لمن يريد حماية جسمه هو تفادي العمل بتلك الأسباب، وكذلك إذا عرفنا أن أكل شيء ما سيؤدي إلى مغص المعدة فهذا يوجب علينا من باب البعد عن الألم عدم تناول ذلك الشيء. كذلك الحال بالنسبة للنفس في الأمر والنهي من الإله الحق. هو بيان لما ينعّم النفس وما يعذّبها، الآن وفي الآخرة بشكل مطلق حين يتبيّن حال النفس تمام البيان.

ثم الفرق بينك وبين الإله أن الإله يحدد ما هو الواقع أما أنت فخاضع للواقع، فأمره ذاتي وموضوعي بينما أمرك أنت ذاتي بحت ولا يكون له من الموضوعية بقدر ما يتناسب مع الواقع الذي حدده الإله. أنت تعتبر الإله شخصاً مثلك وهو مذهب التجسيم والتشبيه الكفري، وهذا أصل فساد رأيك. فأنت لم تلحد بالإله الحق لكن ألحدت بإله يشبهك ويبدو أنك أخذته من

سابق تربيتك وثقافتك الدينية فإلحادك حق من هذا الوجه فإنما كفرت بشيء يكفر به المؤمنون بالإله الحق أيضاً لأنه معدوم في الخارج موهوم في الذهن.

الاعتقاد بأن أحكام الإله وأوامره عشوائية اعتبارية صرفة وغير معللة بالواقع الخارجي هو ما جعلك تكفر بأوامره من حيث المبدأ، بينما الحق أنك كفرت بتصور معين لنوعية الأوامر الإلهية، وهذا أمر نشاركك إياه وهو باطل فعلاً، فإلحادك حق من هذا الوجه أيضاً.

ثم كفرك به راجع إلى نظرك فقط إلى الحس والطبيعة، دون اعتبار للنفس والآخرة، وهذا أيضاً قد يُسبب الكفر بالأمر الذي جاء كأصل من أجل الاعتبارات النفسية والأخروية الأبدية، وبالتبع فقط لبيان العواقب الحسية والدنيوية والتي قد لا تحدث بسبب أو بآخر من الموانع المتحققة في زمان أو مكان ما، فاقتصارك على عالَم الطبيعة وإنكار عالَم النفس جعلك ترفض الأمر الإلهي بحجّة عدم رؤية أي أساس موضوعي تقصد طبيعي حسي يُعلل الأمر ويبرز قيمة اتباعه.

من مشاكل بعض الملحدين أنهم يكفرون بتصور معين عن الإله والدين والذات الإنسانية لكنهم يعتقدون بأن كفرهم هذا ينسحب على جميع التصورات والأديان والرؤى الإنسانية.

...

القرءان يبيّن بعضه بعضاً. وفي المواضع المهمّة ستجد بياناً كثيراً يصبّ في كشف الشبهة.

مثلاً. يستدلّ الظالمون على جريمة حكم الردّة بقوله تعالى {لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} لإثبات أن الاستهزاء ردّة لأنه كفر بعد إيمان وبالتالي صاحبه يستحق القتل كما يقولون. لكن إذا قرأنا تكملة الآية فسنجد ردّ افترائهم على الله. إذ يقول {لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعفُ عن طائفة منكم نُعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين.} فأثبت هنا العفو عن طائفة من الذين وسمهم بالكفر بعد إيمانهم، وأثبت التعذيب وليس القتل للطائفة الأخرى. لكن السؤال: هل قوله {نُعذِّب} راجع إلى فعل الله أو فعل الرسول أو فعل الرسول عن فعل الله؟ بمعنى هل فوّض الله الرسول لإقامة هذا التعذيب لهذه الطائفة؟ الجواب: كلا. بدليل أن صيغة " نُعذِّب" راجعة إلى الله الذي له العفو "نعفُ" والعفو على الكفر راجع إلى الله لا غير، وبدليل قوله بعدها وهذا بيان القرءان للقرءان في نفس السورة الآية ١٠١ {ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنُعذِّبهم مرّتين" ومن الواضح أن الرسول لا يستطيع أن يعذّب مَن لا يعلم مَن هو. ودليل ثالث في الآيتين أن الله لم يعيّن ما هو هذا التعذيب وكمّيته وكيفيته، كما في القذف والسرقة حيث حدد من ذلك ما قد يكفي للعمل به.

القرءان محفوظ من التحريف، وسيبيّن الله كيفية ردّ أقوال محرّفيه ومن القرءان ذاته، وما على هؤلاء إلا تبيين ما بيّن الله لهم مما بيّنه في كتابه لكن غفلت عنه عقول الناس.

...

لماذا يقول الصوفية عن شيوخهم "رضي الله عنه"؟ لأنهم اعتبروا قوله تعالى {والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم}، فنظروا فوجدوا الشيخ الصوفي المحقق قد اتبع المهاجرين بكونه هاجر إلى الله من الخلق وهجر السوء وأهله بصحبة أهل الله، واتبع الأنصار بنصرة الحق بالأسوة الحسنة والأقوال الصادقة، ثم قد تحقق بمقام الإحسان بحسب تعريف حديث " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه"، فلمّا وجدوا آية {اتبعوهم بإحسان} منطبقة على الشيخ الصوفي من حيث وصفي الاتباع والإحسان طبّقوا عليه قول الله "رضي الله عنه".

...

لماذا يقول بعض الشيوخ بالإرجاء؟ لأنهم وجدوا الله قسّم الأمّة في الآية من ١٠٠-١٠٦ من سورة التوبة إلى أصناف أربعة. الأول صنف المحسنين فاعتبروا أنفسهم أقلّ من أن يوصفوا بالإحسان. والثاني صنف المنافقين وقد أنكروا نفاق أنفسهم لأنهم لا يدينون بالكفر باطناً بل يفرّون من الكفر. والثالث صنف المُخَلطين {خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً} فاعتبروا أنفسهم خارج هذا الصنف لأن هذا الصنف لابد من الجزم بأن لصاحبه عمل صالح حتى يصدق أنه خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فلم يجدوا اليقين في أنفسهم بأن لهم عمل صالح عند الله تعالى إذ لا يعلمون ما حكم أعمالهم عند الله على التحقيق لأن لكل عمل شروط عديدة ومنها ما يكون أخفى من دبيب النمل على الحجرة السوداء وقد يبطل أو يحبط به العمل، فلمّا رعوا شروط الشريعة والطريقة والحقيقة بكل أبعادها وجدوا أن الجزم بأن لهم عامل صالح أمر غير مقطوع به، فأخرجوا أنفسهم من هذا الصنف. فلم يبقَ إلا الصنف الرابع وهو {وءاخرون مُرجون لأمر الله إما يُعذّبهم وإما يتوب عليهم} فوضعوا أنفسهم وعامّة المسلمين مثلهم في هذه الخانة، فكانوا بين الخوف والرجاء على الدوام.

...

{لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم} الريبة بسبب غياب البينة.

الدين مبني على العقل لا الإرادة، والريب يكون لمن يبني دينه على إرادة الإيمان بدلاً من عقل الإيمان. فإرادته تقول "آمن" وعقله يقول "أنا شاك"، فيخلط ويضطرب.

إن لم يتبيّن لك، لا تعمل شيئاً. يسعك يوم الدين أن تقول "يا رب حاولت لكن لم أعلم"، ولن يسعك أن تقول "عملت بما لم أعلم". لأن الأصل هو "وأنتم لا تعلمون" و "لا تعلمون شيئاً"، فمن بنى على الأَصل سَلِم، ومَن ادعى خلاف الأصل طولب بالبينة. "هاتوا برهانكم".

...
{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة...فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به}:

البيعة الشرعية هي أن ترى إنساناً يمثّل أمر الله في الأرض وهو الرسول ثم تبايعه على الجنّة وتُسلّم نفسك ومالك له بالمعروف، "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله". ولم يثبت الله في القرءان بيعة لغير الرسول، لأن بيعته بيعة الله ويده يد الله.

البيع في المعاملات لا يكون إلا بالتراضي. وهذا دليل على أن البيعة على الجنّة أيضاً بالتراضي. لذلك قال {استبشروا ببيعكم الذي بايعتم به}، فهم الذين باعوا وبايعوا، من عند أنفسهم طوعاً، إيماناً بوعد الله الذي وعد به {في التوراة والإنجيل والقرءان} وتصديقاً بـ{ومَن أوفى بعهده من الله}، وإيماناً برسول الله {مَن يطع الرسول فقد أطاع الله}.

بناء على ذلك: لا بيعة شرعية لغاصب ولا طاغية ولا مُجبِر مُكرِه للأمّة ولأي فرد فيها. فضلاً عن أن لا يكون ثمّة بيعة شرعية لغير رسل الله. فكل ما يسمّونه الآن بيعة لولي الأمر دجل في دجل وكفر في كفر.

...
قد يروق لي أمر من حيث شهوتي بل وراحة عقلي وروحي، لكن لا يروق لي من حيث أنه لا يصلح أسوة للمؤمنين ممن يريد اتباعي، فأمتنع عنه مع شدّة الصبر عليه والمخاطرة فيه من أجلهم.

...
{فرح المُخَلَّفون بمقعدهم خِلَف رسول الله} كل مَن قعد خلاف وخلف أهل القرءان ووارث الرسول في زمنه، فهذه الآية نازلة فيه. ابحث عن عالِم بكتاب الله والزمه، في حِلّه وترحاله.

{وكرهوا أن يجاهدوا} لأنهم اعتبروا دينهم التقليدي وما سحرهم به شيوخهم وحكامهم هو الحق الكافي وفرض العين الوحيد.

{بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله} أمور الدنيا والمعيشة تحتاج إلى مال، وأمور العلم والكلمة تحتاج إلى أنفس. فمن عاش لله فهو في سبيل الله، فالإنفاق عليه ورفع حوائجه من الإنفاق في سبيل الله بدون أن يسألها ويطلبها. ومَن تكلّم بالله وفي كتاب الله فكلامه يجب حفظه وتسخير النفس لتلقّيه وتوصيله للغير، وكذلك المظهر المادّي للكلمة كالكتب ينبغي الإنفاق عليها حتى تنتشر في الأرض حتى يعلمها الموافق والمخالف وتكون بمتناول الأيدي لمن يريدها.

{وقالوا "لا تنفروا في الحر"} الاحتجاج بالظروف الطبيعية، والصعوبات النفسانية.

{قل "نار جهنم أشدّ حرّاً"} فرسول الله هو الجنّة، نفسه جنّة النفوس وكلامه جنّة الكلام وعمله جنّة الأعمال. وما عداه نار جهنّم. الذين يقدّمون راحة معايشهم على سلامة نفوسهم وأديانهم فهم من أهل هذه الآية. والذين يقيّدون عملهم الديني بشرط عدم الكلفة المالية والنفسية فهم من أهل هذه الآية.

{لو كانوا يفقهون} الفقه تقديم الآخرة على الدنيا، والنفس على البدن، والأجر على المال، والدين على المصلحة.

{فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً} عيشة العبيد الأذلاء، الذين فرحوا بمقعدهم خلاف مَن يريد تحريرهم من ذل القهر وذل الجهل.

{جزاءً بما كانوا يكسبون} فالنفس ما بين الضحك والبكاء، وبقية الأضداد. مَن قدّم أمر الروح على أمر البدن، كان ضحكه كثيراً وبكاؤه قليلاً في الدنيا، ومَن قدّم أمر البدن على أمر الروح، كان ضحكه قليلاً وبكاؤه كثيراً. إذ يستحيل على إنسان أن يكون روحانياً صرفاً أو جسمانياً صرفاً.

...{وإذا أُنزلت سورة} عند مَن يطلب دليلاً من كتاب الله لوجوب هذا العمل الذي ندعوا إليه. إذا جئناهم بسورة. {أن ءامنوا بالله وجاهدوا مع رسوله}، وتبيّن الأمر لهم ولم تعد لهم حجّة. حينها ستجد مصداق {استئذنك أولوا الطول منهم} الطبقة الوسطى والعالية مالياً، الذين لديهم من المال ما يكفيهم للراحة والمتعة، ولديهم أسباب السعة المالية في بلادهم ويخافون من تركها وخسارتها. سيبحثون عن فتوى تجيز لهم القعود {وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين} وسيأتي مَن يبرر لهم القعود، إما بأنه لا معنى لعملنا هذا أصلاً، وإما بأن الله يأمر بالقعود، وإما بأننا في زمان فتنة والأسلم اعتزال الناس كلهم (طبعاً إلا اعتزال سادتهم الذين يستعبدونهم، فهؤلاء لا يزالون معهم ويدفعون لهم الأموال بالضرائب ويخضعون لهم دينياً وسياسياً بل ونفسانياً)، وإما بغير ذلك من المبررات التي تدور كلها في فلك القعود.

{رضوا بأن يكونوا مع الخوالف} في كل زمن جهاد كلمة وحرية، إلى يوم القيامة. ومن أهمّ ما فعله الشياطين أنهم ربطوا كلمة الجهاد القرآنية بالطغيان والعدوان، الطغيان السياسي والعدوان الإرهابي، حتى يتحسس الناس من مجرّد ذكرها. والحق أن الذين زعموا أنهم أهل جهاد من الطاغين والمعتدين، هم أولى الناس بأن يجاهدهم الناس جهاد الحق لأنهم شرّ الخلق والخليقة ممن قلب مفاهيم كتاب الله وحرّفها عمداً طلباً لعرض الحيوة الدنيا. فقسموا المسلمين

بهذا التحريف إلى قسمين، قسم هم رؤوس الضلالة من المحرفين من الطاغين والمعتدين وجنودهم الملاعين، وقسم هم الخوالف وهم العامّة المقلّدين المسحورين.
{وطُبع على قلوبهم} بالعقائد الباطلة والتحريفات الآثمة، فصارت كلمات الأئمة المُضلّين سبباً لانغلاق قلوبهم حتى عن سماع ما يغاير ما في قلوبهم.
{فهم لا يفقهون} صاروا من أهل الدنيا بل من أخسّ أهل الدنيا.

{لكن الرسول والذين ءامنوا معه} وارث القرءان والداعي إلى الله به بإذن الله ومَن معه بناء على رؤيتهم لحقيقة ما يقوله في الآفاق وفي أنفسهم.
{جاهدوا بأموالهم وأنفسهم} الرسول أوّل المجاهدين، خلافاً لشيوخ الضلالة الذين يقعدون في بيوتهم ويأمرون الناس بفعل الأفاعيل.
{وأولئك لهم الخيرات} في الدنيا، خير الروح بالعلم والحكمة وخير النفس بالتزكية والحرية وخير الجسم بوجود معنى لعيشهم وحق في أعمالهم والنصر على عدوهم.
{وأولئك هم المفلحون} في الآخرة الكبرى، الذين زرعوا الجهاد وحصدوا نعيم الآباد.

...{إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء} أغنياء المسلمين اليوم والعرب منهم خصوصاً وهم قلب الدين، هؤلاء قعدوا و{رضوا بأن يكونوا مع الخوالف} وخصوصاً أهل الحجاز منهم الذي هو معقل الدين الأول، أرادوا الحفاظ على جاههم ومنصبهم وثروتهم فقرروا الرضوخ للطغيان والدجل ولو قالوا ما قالوه في السرّ وبين ثِقاتهم. {وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون} ولو علموا مصيرهم الذي سينسف أوهامهم التي يدجّل لهم شيوخهم الأجراء عندهم ويوهمونهم بأن ما هم فيه هو عين الحق والصواب والواجب في زمن الفتنة وآخر الزمان وبقية الأكاذيب، لما فعلوا ما يفعلونه اليوم.

...{وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا} الجسم والنفس والروح.
ففي الجسم قال {حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت} فهذا مستوى خلق الطين.
وفي النفس قال {وضاقت عليهم أنفسهم} هذا مستوى تسوية النفس.
وفي الروح قال {وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه} والظنّ عمل عقلي وهو من أعمال الروح.
{ثم تاب عليهم ليتوبوا} تخلّفهم عن رسول الله يعني تخلّف عن بسط الأرض وسعة النفس واستقرار الروح. فالرسول يجاهد لأنه يريد كسر الحدود عن الحركة في الأرض، ورفع أسباب التضييق عن النفس كإيجاب الناس على بعضهم بعضاً ما يخالف تزكية النفس، ومنع الظلم

والجبر في الدين والكلام الذي يؤدي إلى اضطراب وكتم وظلمة وموت الروح. فلمّا تخلّفوا عن الرسول والذين ءامنوا معه، أصابهم ما فرّوا منه وهم في بيوتهم.

{إن الله هو التواب الرحيم} فلا يزال باب التوبة مفتوحاً، فمن أراد وجوداً واسعاً بسعة الله، وإصلاح إرادته بإرجاعها إلى أمر الله، وروحاً مرتاحة بنور الله، فليجاهد مع رسل الله.

{يأيها الذين ءامنوا} بالقرءان.

{اتقوا الله} وانتهوا عن ما أنتم عليه من القعود والتخلّف.

{وكونوا مع الصادقين} الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله لبسط الأرض وسعة النفس واستقرار الروح، برفع الطغيان والعدوان عن الإنسان في كل مكان.

{ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب} هذا خطاب لأهل دار الهجرة، وغيرها. فحيث يكون صاحب القرءان المحمدي المقام، فهذه المدينة. "أنا مدينة العلم".

{أن يتخلّفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه} ما كان لهم جعل الأولوية في اهتمامهم بأنفسهم بدلاً من نفس رسول الله، لا اتباعاً ولا حمايةً. لأن الرسول وسيلة فيض العلم الإلهي والبركة على العالَم، فنفسه مقدّمة على الكل، وله الإذن الخاص بالدعوة وذكره لاسم الله هو السبب الأكبر لحفظ نظام العالَم وعدم انقلاب الزمان إلى غلبة الشرّ وقيام الساعة.

{ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله} شؤون البدن، العطش والتعب والجوع، أي آلام البدن.

{ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار} بانتشار الكلمة الإلهية في أرض يكره الكفار من مدعي الإسلام وغيرهم من الطاغين أن تنتشر بها الدعوة الحية.

{ولا ينالون من عدو نيلاً} كل لفظة يقولونها ضد العدو، منافقاً مسلماً أو غير ذلك.

{إلا كُتب لهم به عمل صالح} لأنهم مع الرسول فكل ما يصيبهم في بدنهم وكل ما يقومون به ضد عدوه الذي أخرجه من دياره، فهو عمل صالح يجدونه في قلوبهم اليوم وعند الله غداً وثمرته أبدية.

{إن الله لا يضيع أجر المحسنين} الذين يقدّمون نصرة الرسول على مطالب بدنهم ومداهنتهم لأعدائه، مع سلامة صدورهم أثناء القيام بذلك وعدم انتقاد الرسول بسببها كالذين قالوا لموسى "أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا" مثلاً.

{ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة} المال.

{ولا يقطعون وادياً} للدعوة.

{إلا كُتب لهم} فلا تستصغروا عملاً مع الرسول، فكل ما تقومون به معه كبير عند الله ولا تظنون لأن أحداً من البشر لم يعرف ما تقومون به أن عملكم قد ضاع بل هو محفوظ عند الله إلى الأبد.

{ليجزيهم أحسن ما كانوا يعملون} بركة أخرى لنصرة رسل زمانك. فالجزاء لن يكون على كل عملك، بل على {أحسن} عملك فقط. فسيعطيك بأفضل ما كنت تعمل، لأنك اتبعت أفضل إنسان في زمنك وأحسن دعوة في عصرك.

{وما كان المؤمنون لينفروا كافة} يهاجروا إلى رسول الله في المدينة كلهم بجميع أفرادهم من جميع البلدان حيث يوجدون فيها.

{فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين} على يد الرسول. لأن الواجب فتح جميع البلدان للدعوة، فكل مكان له قيمته والمؤمنون هناك لهم مهمتهم. فمَن وجبت عليه الهجرة لأنه يعيش في قوم لا يستطيع الاستعلان بالإيمان فيهم ولا حرية للكلمة والدين بينهم، فهؤلاء مَن يجب عليهم الهجرة إلى مدينة الرسول. لكن مَن كان في بلدة فيها حرية دين وكلمة، فيكفيهم أن يبعثوا بعض عقلائهم إلى الرسول ليتفقهوا في الدين بوسيلته، قولاً وتأسياً.

{ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} فدلّ على أن قومهم قابلين للإنذار وتغيير عملهم بحسب الإنذار وهو الحذر، ولا يكون ذلك إلا حيث لا إكراه في الدين والتبيين الذي هو وسيلة ظهور الدين.

بالتالي، الأرض على ثلاثة أقسام. أرض الرسالة، وأرض حرة، وأرض طاغية. أرض الرسالة حيث يوجد الرسول ومعه الأنصار أصحاب السلاح الذين يمكن أن يحاربوا الأرض الطاغية، فهذه دار الهجرة. وأرض حرة، حيث توجد حرية دين وتبيين وقابلية لتغيير الوضع العام بنحو سلمي عبر الكلام والاختيار. وأرض طاغية حيث لا حرية دين وتبيين والأمر العام فيها قائم على الجبر والتخويف والقهر والاستعباد.

فالواجب التالي:

على أهل الأرض الطاغية الخروج عن هذه الأرض إما إلى أرض الرسالة وهو الأفضل وإما إلى أرض حرة، ويكونوا مع صاحب القرءان ومن اتبعه بإيمان.

على أهل الأرض الحرة بعث بعضهم إلى صاحب القرءان في أرض الرسالة ليتفقهوا به، ويجعلوا مَن بعثوهم أئمة عندهم لتغيير حياتهم ومجتمعهم بحسب الدين الحي الذي سيأخذونه من الرسول.

على أهل أرض الرسالة حماية الرسول ومن معه من المهاجرين وتسخير أموالهم وأنفسهم حتى تستقر معايشهم وأمن أبدانهم، وعليهم بعد ذلك محاربة أهل الأرض الطاغية حتى تصبح أرض حرة، ورفع كل موانع انتشار دعوة الرسول في الأرض بالكلمة، وليختار الناس ما يشاؤون بعد ذلك من حيث عملهم وقرارهم العام.

"إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عظيم".

...

التطورات الحديثة آلات، وسائل عيش، وسائل تواصل. لكن الدين ذات، ومقصد عيش، ومواضيع التواصل. الحداثة السياسية تنظيم للاختيار، لكن الدين موضوع الاختيار. إذن لا من جهة التقنية ولا من جهة السياسة يوجد تعارض بين الدين والحداثة، بل الدين روح والحداثة صورة أحسن وأسلم لبثّ وتجلّي تلك الروح.

...

النبي هو الذي يؤول أحداث الطبيعة لكشف سرّها الإلهي.

من مظاهر ذلك ما ذكروه في السيرة {جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدي الذي أخذ فرخه، فعجب الناس من ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أتعجبون من هذا الطائر، أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه، والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه}.

الصورة الطبيعية تتعلّق بالفرخ. لكنها النبي أعطاها تأويلها الإلهي، فجعل الأب مَثل على الرب، وجعل الفرخ مثل على العبد. وجعل رحمة الأب بالفرخ مَثل على رحمة الرب بالعبد. فهنا نرى أن النبي جعل رب العباد متجلياً في صورة هذا الطائر، وهو حيوان. فحتى الحيوانات أمثال على تجليات الرب تعالى، وصفاتهم تجليات صفاته، وأفعالهم تجليات أفعاله. الذي يعرف هذا التأويل تكون الطبيعة كلها بالنسبة له قرآناً حياً يقرأه الله عليه في كل آن.

...

لكل كرامة تأويل باطني يتعلّق بالعلم والحياة الروحية. وهذا سبب حفظها عند العلماء المحققين، السبب الأكبر والأنفع.

من أمثلة ذلك ما ذكروه في السيرة {جيء له صلى الله عليه وسلم بثلاث بيضات من بيض النعام، فقال لجابر "دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات". قال جابر "فعملتهن ثم جئت بهن في قصعة فجعلنا نطلب خبزاً فلم نجد، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كُلٌّ إلى حاجته -أي إلى الشبع- والبيض في القصعة كما هو.}

من نعم الله عليّ أني كنت أسأل في نفسي ربي عن حكم أكل البيض، لأني ترددت هل هو ميتة أم لا. بعدها وجدت هذا النصّ وفيه يقول الرسول "فاعمل هذه البيضات". فالحمد لله.

لكن قصدي من ذكر الرواية تأويلها الباطني لا حكمها الشرعي. فما تأويلها؟

النعام من النعمة والنعمة كلمة الله "ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمت ربك بمجنون"، وكلمة الله تتعلّق بثلاث أبعاد هي تأويل {ثلاث بيضات}، باعتبارات مختلفة، مدارها على "الله الرحمن الرحيم"، وعالَم الروح والنفس والجسم، والذات والصفة والفعل، والدنيا والآخرة والحضرة الإلهية، وكذلك في القرءان ثلاثة أبعاد أعلاها حقيقته التجريدية وأوسطها أمثاله الآفاقية والأنفسية وأدناها ألفاظه العربية. الفكرة من الكرامة هنا هي أنهم أكلوا من البيض حتى شبعوا {والبيض في القصعة كما هو}، وهذا ينطبق على الكتب، لأن الكلمات في الكتاب تبقى كما هي بالرغم من أن القراء الكثر يقرأونها ويأخذون المعاني منها حتى يشبع عقل كل واحد في ذلك الوقت بحسب ما يُفتَح عليه ويكون استعداده، ومع ذلك تبقى الكلمات على حالها في النص المخطوط. على ذلك، تكون البيضات الثلاث هي مكونات اللغة الثلاث، الاسم والفعل والحرف. وهذا من أهم الفوارق بين الحياة الروحية أي حياة العلم والقراءة والكتب، والحياة المادية. فإن المادية يحصل فيها التزاحم والتنازع بسبب ضيقها، فالبيضة المادية إذا أكلها إنسان فقدها مَن عداه من الناس، ولا تدخل إلا في معدة واحدة بالضرورة. بينما البيضة الروحية إذا أكلها ألف إنسان تبقى في القصعة كما هي، فتشبه نار الشمعة الواحدة التي يستطيع الناس إشعال شموع كثيرة منها مع بقاء نار الشمعة الأولى على حالها بل الأمر أوسع من ذلك في الكتب. من هنا، ومن أهمّ ما يمكن أن يقلل النزا ع أو يعدمه بين الناس هو أن تكون المعيشة المادية معتدلة متوسطة متوفرة للكل، لكن بعد ذلك يشتغل الكل بالكتب، ومن هنا كتاب الله رحمة عظيمة بالحياة الاجتماعية للذين يعقلون.

فماذا عن الخبز في القصّة ما تأويله؟ البيضة هي الكلمة، والخبز هو الواقع المعلوم بالتجربة. لأن الكلمة دالة على الواقع، فقد تقرأ كلمة أنت مدرك لواقع مدلولها وقد تقرأ كلمة وأنت لا تعرف مدلولها الواقعي من قبل قراءتها، كالذي يقرأ كتاب عن الطب ولم يمارس الطب مثلاً. فيكون التأويل هو أن الأصل طلب الواقع والمدلول قبل قراءة الكلام من الكتب، لكن في

حال لم تجده ولم تكن لك تجربة وجدانية ووجودية معه فإن القراءة وحدها كافية ونافعة أيضاً وذلك من وجوه، منها أن قراءة كلمات كتاب الله هي بحد ذاتها اتصال بالله بغض النظر عن فهم مدلولها الواقعي الخارجي إذ عنصر الاتصال موجود بنفس القراءة الصورية مع الإيمان القلبي، ومنها أن أهل الكشف يُفتَح لهم المعنى الوجودي للكلمة وإن لم يعرفوه من قبل وذلك أثناء القراءة وبنحو مساوق لها، ومنها أن قراءة الكلمة الدالة يجعل في النفس استعداداً للبحث والاتصال بمدلولها الخارجي بالتجربة. فالبيض بالخبر وبدون الخبز نافع، والكلمة بالتجربة وبدون التجربة نافعة، وهذا من سعة غذاء الكلمة الروحية.

...

الحروف شفع ووتر. حرف (ح) نطقه "حا" وليس "حاء" بالهمزة، وذلك بالتواتر المطلق عن النبي كما في قوله "حم" فإننا نقرأها "حا ميم" وليس "حاء ميم". وكذلك سمّى النبي الحروف "الم" بأسمائها فقال "ألف لام ميم" بالقراءة.

الشفع: با تا ثا حا خا را طا ظا فا ها يا

الوتر: ألف جيم دال ذال زين سين شين صاد ضاد عين غين قاف كاف لام ميم نون واو

عدد الحروف المفردة

الشفع: ١١ حرفاً.

الوتر: ١٧ حرفا.

عدد حروف الحروف، أي إذا جمعنا {با} كحرفين البا والألف، مع اثنين {تا} واثنين {حا} وهكذا فالنتيجة.

الشفع (٢ ضرب ١١) = ٢٢ حرفاً.

الوتر (٣ ضرب ١٧) = ٥١ حرفاً.

مجموع الشفع مع الوتر: ٧٣ حرفاً.

من هنا نرى علاقات عجيبة:

أما عدد الحروف الشفعية المفردة (١١) فهو عدد ركعات قيام الليل.

أما عدد الحروف الوترية المفردة (١٧) فهو عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة.

أما عدد الحروف المفصّلة للشفع (٢٢) فهو عدد حروف البسملة المنطوقة (١٩ مع ٣ ألفات مخفية: ألف "بسم" وألف "الله" بعد اللام الثانية، وألف "الرحمن" بعد الميم.

أما عدد حروف الوتر المفصلة (٥١) فهو مجموع ركعات الفريضة (١٧) والنافلة (٣٤، ضعف الفريضة) المروي عن بعض أئمة أهل البيت كما عند الشيعة الإمامية.
أما عدد مجموع الشفع والوتر مفصلاً (٧٣) فهو عدد فرق الأمّة "تفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة" فافترقوا تفصيلاً بعدد الحروف المفصّلة العربية.

...
قالت: ما معنى تنقية النفس؟

قلت: أوّلاً لابد من معرفة النفس إذ تنقية المجهول مستحيلة. وطريق معرفة النفس يكون بالتأمل فيها ومراقبتها، وكذلك بذكر الله لأن الله سيذكّرك بنفسك حين تذكره "نسوا الله فأنساهم أنفسهم" فلو ذكروا الله لذكّرهم أنفسهم.

ثانياً لابد من مقارنة النفس بنمط أكمل منها وأنقى منها، وإلا فيستحيل معرفة الفارق بين الحالة النقية وغير النقية إذا كانت النفس لا تعرف غير ذاتها. وطريق هذا مقارنة النفس مع النفوس المطهرة للأنبياء والأولياء، وفوق ذلك مقارنتها بالمثل الأعلى الذي لله تعالى وهو الأسماء الحسنى، فتأخذ كل اسم وتعتبره مرآة يكشف لك عن كمال لابد أن يكون في نفسك، ومدى بعدك عنه هو الكدر والوسخ الذي ينبغي التخلص منه. مثلاً الله عليم فالعلم نقاء وضدّه الجهل، فهكذا تراجع ما في نفسك من اعتقادات وتقيسها على مبدأ العلم وتنفي عنها ما كنت تعتقد بسبب الهوى أو الولادة أو التعصب أو غير البيّنة العلمية. وهكذا مع كل اسم إلهي بحسب ما يناسب تخلّق العبد به. ومن طرق ذلك أن تأخذ اسماً من الأسماء الحسنى كل يوم أو كل فترة، فتنظر فيه وتبحث عن تنقية نفسك به حتى إذا أخذت منه بقدر سعتك الآن تنتقل إلى ذكر اسم آخر وهكذا ثم تعود إليها في دورة جديدة.

...
الأمان حين تعيش كإنسان وتجد الأمان في المجتمع، وليس أن تعيش كالفئران وتجد الأمان- هذا إن كان للفئران أمان أصلاً.

...
قالت : كيف جاز عند المسلمين شتم طفل بريئ بأنه "ابن زنا"؟

قلت:

أوّلاً، هذا اللفظ ليس في كتاب الله. فلا يوجد في كتاب الله تسمية أي مولود بأنه "ابن زنا" ولا الإشارة إلى أنه يجب تسمية الولد الذي خرج ولو بسبب الزنا بأنه "ابن زنا"، فضلاً عن نسبة أي خواص سلبية في الدنيا أو في الآخرة لمثل هذا الولد.

ثانياً، مفهوم "ابن الزنا" يتعارض صراحةً مع كتاب الله. لأن وسم إنسان بسلبية بسبب فعل إنسان آخر ظلم صريح والله يقول "ولا تزر وازرة وزر أخرى"، ومنع من رمي البرئ بشيء لم يقترفه والولد لم يرتكب الزنا ولا علاقة له بفعله من قريب أو من بعيد، فضلاً عن أن العدوان بالقول أو بالفعل على مَن لم يرتكب الظلم بالقول أو بالفعل هو من أبسط تعريفات الظلم في نص القرءان وفي فطرة الإنسان وفطرة الإنسان إلهية كما قال الله "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله".

ثالثاً، لدينا في القرءان مثال على إنسان منسوب لأمّه مثل عيسى ابن مريم، وإنسان لا نعلم له أب بغض النظر عن سبب عدم علم مَن هو الأب وقال بأنه علينا اعتباره أخاً في الدين ومن موالينا. ولا يوجد في الكتاب أي احتمال لتسمية ولد بابن الزنا، سواء كان له أب أو لم يكن، علمنا أباه أم لم نعلمه، أيا كان السبب. فقد ذكر القرءان الزنا وحكم فاعليه، لكن لم يذكر حكماً للولد إن نشأ من هذه العلاقة بالنصّ.

قالت: فإذا كان الأمر بهذا الوضوح والبساطة، فلماذا نجد ذلك عند المسلمين؟
قلت: هذه ليست أول مرّة يُتَرك فيها كتاب الله بسبب تقاليد مذهبية أو عادات جاهلية أو غير ذلك من الاعتبارات الكثيرة. لو أردنا سرد قوائم هجر كتاب الله بالأهواء لطال الأمر.

ثم إن الفكرة وراء التشنيع على ولد الزنا هي مجرّد محاولة، محاولة ناجحة، لضبط سلوك الرجال والنساء في المجتمع. وسيلة ضبط، لا علاقة لها بالقرءان ولا بالعقل ولا بالحق. التحكم في سلوك الناس الجنسي هو أهمّ مظهر للتسلط على الناس. وقد علموا أن الرجال والنساء ولاعتبارات كثيرة لن يبالوا كثيراً إن كان ثمرة الجماع ستُعامَل باحترام على أية حال ويوجد مخرج من البلاء، فحشدوا كل وسائل التحقير والذم لتخويفهم من ثمرة العلاقة. وقد وقع مثل هذا حتى للملوك وليس فقط للعامّة. فالكل مضبوط بالقانون الجنسي، والقضية ليست مجرّد تسلّط فئة على أخرى وإن بدأت كذلك. الضبط غرضه اجتماعي ومفهوم في مجتمع غير قائم على الفردية والمؤسسات السياسية والاقتصادية، لأن الجماع أهمّ دافع لحركة الإنسان الطبيعية، وثمرة الجماع أهم جامع للعوائل التي تمثّل المحرّك الاقتصادي الأكبر، فبظلم ولد "الزنا" إنما يريدون التحكم في الآباء والأمهات حتى يرتبطوا بعلاقة مضبوطة ويتحركوا في أفق الانتاج الاقتصادي ولا يكون الغرض من الجماع مجرّد اللذة والنزعة الفردية في الارتباط. منطق أرباب الدول عموماً لا يفكّر إلا بالنتيجة الاقتصادية والعسكرية للأمور، هذا أهمّ ما يدور في عقولهم حين يقيّمون الأشياء والاحتمالات. أن يتم احترام عملية بين رجل وامرأة لا تنفع الدولة اقتصادياً ولا عسكرياً، ولو كانت إنسانية وروحية وأيا كانت أبعادها بالنسبة لهما، هو

أمر بشكل عام غير مفهوم ولا مقبول عند أصحاب الدولة المتسلطة بطبعها وأصل نشأتها. تحريك العامّة في اتجاهات معينة يكون بتنظيم الجماع وثمرة الجماع، هذه أكبر وسيلة وأكثرها مباشرة للذهن وتأثيراً على النفوس. "ابن الزنا" راح بين الأرجل- كما يقال.

قالت: لكن ألا يخافون من محاكمة الإله لهم على ذلك الظلم؟
قلت: الذين يقتلون الأطفال، ويسجنون المتكلّمين، ويقهرون العامّة، ويعتدون على جيرانهم لفرد عضلاتهم، لا يُسأل أمثالهم عن الخوف من الله. هؤلاء يجب تخويفهم ليس بالله، لأنهم كفار. بل يجب تخويفهم بالثورة، بل تدميرهم بالثورة.

...
فرق بين رواية تاريخية تستعملها كمجرّد مناسبة لتأويل باطني وتلصق التأويل بها إلصاقاً، وبين أمثال صورتها تاريخية لكن المقصود منها هو تأويلها الباطني حقاً وبالقصد الأول من ذكرها.

الرواية التاريخية التي يستعملها المفسّر اعتباطاً، لن يستطيع عادةً أن يأخذ كل تفاصيلها فضلاً عن كل كلمات الرواية ذاتها بل وحروفها واستخراج المعاني الباطنية منها. نجد هذا مثلاً في كتاب "حياة موسى" لغريغوري النيسي (القرن الرابع الميلادي) حيث تجده يروي قصة موسى كما هي في التوراة اليهودية، لكنه يعترف في نفس النصّ بأنه إنما يستعمل الأطر العامّة للقصّة كمناسبة لذكر التطور الروحي للنفس، ولذلك تشذّ منه تفاصيل كبيرة فضلاً عن التفاصيل الصغيرة فضلاً عن كل كلمة وحرف، مثل قوله أن هارون يمثّل المَلَك الذي هو أخ القوة العاقلة في النفس، لكنه حين يصل إلى مقطع صناعة هارون للعجل الذهبي يعجزه تفسير صناعة القوة العقلية المفترض أنها إلهية ونورانية لصنم وثني وظلامي، فيقول بأن المقصود من رسالته في التفسير الباطني لا تفترض تفسير كل جزئية والترابط المطلق للمعاني واستقامة المعاني في كل المقاطع. هذا هو الفرق بين التفسير الباطني والتأويل الباطني، هذا اصطلاح لي هنا. فإني أقصد بالتفسير هنا عملية الإلصاق الرمزي للمعاني بصورة القصص التاريخي.

أما التأويل الباطني فأقصد به معرفة المقصد الأول الذي بعث على إنزال القصّة، فالتأويل رجوع إلى القصد الأول وهو القصد الباطني والمجرّد والنفسي. فحين نقول بأن {على الثلاثة الذين خُلّفوا} بأن المقصود بالثلاثة حسب التأويل هم الجسم والنفس والروح، فإننا لا نقصد هذا من باب المصادفة وأننا وجدنا أدنى سبب لإضافة المعنى للكلمة، بل نقصد بأن هذا هو التأويل الحق للآية، أو درجة من درجات تأويلها. ويشهد لذلك ما جاء بعدها من ذكر ثلاث

أقوال الأولى عن الأرض وهي الجسم والثانية عن النفس والثالثة عن الظن الذي هو عمل الروح العقلي. {ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه}، ثم نقارن هذا بقصّة آدم حيث ذكر خلق الطين ثم تسوية النفس ثم نفخ الروح. وعلى هذا النمط. التأويل الباطني ليس مجرد "إشارات" بمعنى التفسير الذي أشرنا إليه من قبل، وكأن المعنى الروحي مُلصق اعتباطاً وعلى طريق "اللطائف" أو "المُلَح" العلمية. بل هذا هو القصد الأصلي من القرءان وتنزيله.

من هنا تجد الفرق الشاسع والجوهري بين قصص القرءان وقصص التوراة اليهودية أو العهد الجديد المسيحي مثلاً. فنحن، أي أهل القرءان، نتبع كتاباً نصّ على أنه أمثال ولم يرد فيه ولا تاريخ واحد لحدث أو شخص، ولو قرأت القرءان ألف مرّة لن يخطر ببالك لا تاريخ ولا جغرافيا، وما ورد من ما يبدو أنه استثناءات قليلة لهذه الكلّية ليس استثناءاً في الحقيقة وله تأويله الخاص مثل ذكر مكة أو حنين أو بدر، لكن حتى هذه الاستثناءات الظاهرة لن تستطيع أن تحدد قرءانياً زمان وقوعها. بينما كتب اليهود والمسيحيين مثلاً هي حتى عند أهل التفسير الباطني مثل غريغوي صاحب حياة موسى هي كتب تاريخ، يعترفون بذلك صراحةً، ويقولون في هذا الزمان وتلك البقعة الجغرافية حدث كذا وكذا لذلك الشخص الجسدي المادي، لكنهم بعد ذلك يحاولون إلصاق تفسيرات باطنية بها (تفسيرات لطيفة وعميقة في معظم الأحيان بالمناسبة). فكتبهم تاريخ له تفسير باطني، لكن كتابنا أمثال له تأويل باطني. لذلك كل كلمة بل كل حرف في القرءان له تأويله وسببه، بينما ستجد مثل صاحب حياة موسى يقول بأن اعتبارات مثل منشأ فلان أو عرق علان لا قيمة لها أثناء عملية التفسير بل ويكفي أخذ الفكرة المجملة للحكاية التاريخية لجعلها مناسبة لذكر المعنى النفسي والروحي الموجود في نفس المتكلّم حتى من قبل أن يقرأ الحكاية التاريخية ولم يستنبطه منه. وهذا فرق آخر: في تفسير التاريخ يأتي المُفسِّر بحقيبة معانيه قبل التفسير، لكن في تأويل الأمثال يستنبط العارف من الأمثال ما لم يكن عنده من قبل ويُفتَح له في وقتها أو بمفاتيح علم الغيب التي أوتيها من قبل. التفسير فرض رأيك على الحكاية، التأويل اتساع رأيك بالقصّة.

....انتهى والحمد لله.